

## ثبت المصادر والمراجع

فيما يلي أسماء بعض المصادر والمراجع التي استعنا بها في وضع هذا الكتاب . نذكرها ليفيد منها من يرغب في متابعة هذه الدراسة بشي من التفصيل .

أولا : العربية :

- أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، ١٩٧٠ .

- أحمد صدقي الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر الحكم العثماني الثاني ١٨٨٢-١٩١١ القاهرة ، ١٩٧١ .

- ارجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر - ترجمة عبد الجليل التميمي - تونس ، ١٩٧٤ .

- خليفة التليسي : حكاية مدينة ، طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب ، ليبيا ، طرابلس ١٩٧٤ .

- رأفت الشريح : تاريخ العرب الحديث ، القاهرة ١٩٩٤

- عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ح٢ القاهرة ١٩٨٠ .

- عبد الكريم كريم : المغرب في عهد الدولة السعودية ، الرباط ، ١٩٧٧ .

عبد المنعم الجميعة : العثمانيون في الميزان الإسلامى والغربي ،  
القاهرة ، ١٩٩٥ .

- محمد جميل بيهم : أ- الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ، القاهرة  
١٩٥٠ .

ب- فلسفة التاريخ العثماني . كيف نشأت  
وارتقت الدولة العثمانية ، بيروت ١٩٢٥ .

- محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى  
الاحتلال الفرنسي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- مرفت سرداح : الجهاد العثماني لإنقاذ بلاد المغرب العربي  
١٥١٨-١٥٧٨ رسالة ماجستير غير منشورة  
كلية البنات - جامعة عين شمس ، ٢٠٠٠ .

- نيقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال  
القاهرة ، ١٩٥٨ .

ثانيا : الأجنبية :

- Gibb and Bowen : Islamic Society and the West. London 1960 .
- Show (S) : History of the the Ottaman Empire and Modern Turkey,  
London 1977 .

## موقف الدولة العثمانية من الثورة العراقية

دكتور عبد المنعم ابراهيم الدسوقي الجميلى

كلية التربية - جامعة القاهرة

### مقدمة :

وجدت الدولة العثمانية فى قيام الثورة العراقية والنزاع المستمر بين الخديو والعراقيين فرصة للتدخل فى شئون مصر الداخلية بحجة فض النزاع واقرار الأمور ، ومع أن السلطان عبد الحميد الثانى وجد فى الثورة فرصة للانتقال من مزايا الاستقلال الداخلى الذى حصلت عليه مصر. فانه أثر التريث فى الانضمام الى اى من الطرفين ، ورغم أنه لم يكن مرتاحا للحركة الوطنية المصرية لانه كان يخشى انتشار مفهوم الثورة منها الى باقى ولايات دولته نظرا لموقع مصر الجغرافى فى وسط ممتلكاته بالاضافة الى أن الثورة العراقية طرحت مفاهيم تستنكرها الدولة العثمانية كل الاستنكار مثل الدعوة الى النظام النيابى وفكرة توزيع الأرض على الفلاحين إلا أنه حاول اللعب على الطرفين والوقوف مع الجانب التى ترجح كفته فى النزاع فكانت هناك اتصالات بين رسله وبين عراقى كما كانت هناك اتصالات بينه وبين الخديو ، ورغم أن الخديو قد ارسل الى السلطان يطلب ارسال قوات تركية الى مصر للقضاء على الثورة فان السلطان خشى من رد فعل الدول الأوربية خصوصا وان خبرة الدولة العثمانية فى الصدام مع الدول الأوربية منذ مؤتمر برلين جعلتها تتردد فى انتهاز هذه الفرصة .

ومن الطبيعى ان يكون حجر الزاوية بالنسبة لكتابة هذا الموضوع

هو الوثائق التركية لذلك فقد رجعت الى الوثائق التركية المترجمة الى العربية والموجودة بدار الوثائق بالقلعة تحت عنوان ملف ثابت بأسماء المحفظتان ١٦٣ ، ١٦٤ ، عابدين ، ومحفظة ١١٦ ابحاث ، ودفتر ٢٨٧ عابدين بالاضافة الى محافظ الثورة العربية وبعض المراجع الأخرى .

وملف ثابت باشا يحتوى على الكثير من الوثائق الخاصة بالثورة العربية ووجهت نظر الدولة العثمانية تجاهها .

وثابت باشا كان يعمل مندوبا للخديو بالاستانة اثناء قيام الثورة العربية وتذكره الوثائق بأنه « قبوكتخدا الحضرة الخديوية بالاستانة » . ومجور الموضوع الرئيسي يدور حول الرسائل المتبادلة بين الخديو والباب العالي والتي يتضح منها :

١ - موقف الدولة العثمانية من الثورة العربية بعد مظاهرة عابدين وبعثه نظامى باشا .

٢ - موقف الدولة العثمانية من المؤامرة الجركسية .

٣ - بعثة درويش باشا حتى منشور السلطان باعلان عصيان أحمد عرابى .

حاولت الدولة العثمانية استغلال احداث الثورة العربية لتثبيت سيادتها على مصر والانتقام من مزايا استقلالها الذى نالته فى عهد محمد على ثم فى عهد اسماعيل ، ومع ان الخديو توفيق قد ساعدها على ان تنقش من هذه المزايا بطلبه ارسال قوات تركية الى مصر لاصلاح الثورة العربية وكان فى ذلك فرصة لها لتحقيق اغراضها الا انها لم تستغل هذه الفرصة فائناء قيام مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ ارسل الخديو ثلاث برقيات الى الباب العالي تتضمن الحادث ولكن بصورة مختصرة من غير ان يوضح فيها الاسباب الحقيقية له والباعث عليه . يمكنه بكنيا باسناد قيام الثورة التى ضابط برتبة « اميرالاي » (١) تمكن من استمالة الجيش المصرى اليه واحاط « بتعضيد من معظم ذلك الجيش بقصر عابدين .. وضرب الحصار حوله » (٢) وتسد طلب الخديو « ارسال قوة عسكرية يبلغ مقنارها عشرين طابورا على جناح السرعة على ان

تكون قيادتها العنامة منوطة به خاصة-» (٢) ولما كان الباب العالى يخشى رد فعل الدول الاوربية وخصوصا انجلترا لو تدخل عسكريا فى مصر ، بالاضافة الى ان الخديو توفيق لم يكن منظورا اليه فى الاستانة بعين العطف والرضا (٤) فقد ارسل الباب العالى يطلب معلومات اكثر وضوحا عن الحادث حيث ذكر فى برقية له الى الخديو « وبما انه ليس من المحتمل قط ان لا يكون لديكم اثناء عن ظروف وملابسات تلك الثورة العسكرية تبيل اجتماع الجنود على الثورة والاحاطة بسموكم فى تصرؤكم وتضيق الحصار عليه فضلا عن ان حكومتكم لابد لها من علم بالظروف والاحوال التى ساعدت على تكوين هذا الحادث . . فإزاء ذلك لا يسع الباب العالى أن يقوم بأى سعى لاعادة الأمن الى نصابه وتسوية المسألة وفق الاعتبارات المحللة مالم يحصل أولا على المعلومات الوثيقة من سموكم لتجلو الاحوال جلاء تاما » (٥) .

وكان رد الخديو على هذه البرقية قوله : « ان الحكومة لم يكن عندها أى نبأ أو علم سابق بهذا الموضوع ، وكل ما هنالك اننا نعلم ان هناك صحيفة تدعى ( ايو النظارة الزرقاء ) يصدرها فى باريس باللغة العزبية العائبة رجل يدعى ( جمس ) (٦) له اتصال وثيق بطبيب عمى سمو عبد الحليم باشا وان آلاف من أعداد هذه الصحيفة تدخل مصر بطرق مختلفة ، وتوزع سرا ومجانا بين صفوف الجيش . . ولا يخفى على أحد ان الذى ينفق نسخاء على طبع ونشر هذه الصحيفة هو سمو عبد الحليم باشا لا غير وبما ان الدعايات التى تقوم بها هذه الصحيفة والامكار التى تبثها تنفق تمام الاتفاق مع الإنكار السائدة الآن فى البيئات الناقمة والطبقات المتذمرة فى الجيش. فيمكننا ان نقول ان لدعاية هذه الصحيفة دخلا كبيرا فى قيام هذه الفتنة العسكرية (٧) ثم ذكر ان الحادث انتهى من غير حاجة الى اتخاذ تدابير شديدة نحو ازالته (٨) ثم أكد فى برقية أخرى « ان الجيش الآن فى غاية الخضوع والطاعة وإن سائر الامور والشئون جارية على مايرام » (٩) ومع ذلك فان الحكومة التركية رأت فيما حدث ذريعة للتدخل السياسى فى شئون مصر وانتحال حق الاشراف عليها — على الرغم من محاولات انجلترا للتضييق على السلطان لإلحالة دون ذلك (١٠). حتى يمكنها العمل منفردة فى مصر — فقرزت ارسال

لجنة الى. بمصر للنظر في الحوادث الأخيرة ، وقد عرمت هذه اللجنة بالوفد  
العثماني وكاتت برئاسة على نظامى باشا سرياور السلطان عبد الحميد  
وعلى بك فؤاد من اعضاء مجلس شورى الدولة (١١) ونجل على باشا  
الصدر الأعظم المشهور ومعهما قدرى بك وصفر افندى وسيف الله  
افندى من ياوران السلطان .

يذكر الاستاذ عبد الرحمن الراعى فى كتابه « الثورة المرابية  
والإحتلال الانجليزى » أن هذا الوفد تحرك من الآستانة يوم ٢ أكتوبر  
١٨٨١ قاصدا مصر ولم يسبق تأليفه مخابرة بين حكومة الآستانة والحكومة  
المصرية حتى تعرف المقصد من ايضاده (١٢) ولكن الوثائق التركية تثبت  
أن الخديو كان يعلم عن طريق مندوبه فى الآستانة (١٣) بتشكيل الوفد  
والمهمة التى سيكلف بها (١٤) .

جاء الوفد الى الاسكندرية يوم الخميس ٦ أكتوبر ١٨٨١ ووصل  
اعضاؤه الى القاهرة فى مساء ذلك اليوم ونزلوا ضيوفا على الحكومة  
المصرية وفى صبيحة الجمعة ذهبوا الى سراى الاسماعيلية لمقابلة  
الخديو فاستقبلهم بالترحاب وبلغوه أن الغرض من حضورهم هو اظهار  
الثقة به. وتثبيت مركزه (١٥) كما ذهب نظامى باشا الى ديوان الحربية  
يقصر النيل حيث استقبله محمود سامى البارودى ناظر الجهادية وهناك  
التى خطابا فى كبار الضباط حثهم فيه على طاعة الخديو (١٦) وزد عليه  
طلبه عصمت بخطاب أعلن فيه خضوع الضباط والجنود للسلطان  
والخديو (١٧) .

ولما زار الوفد العثماني شيخ الجامع الأزهر وبعض الشيوخ  
وجدوا فى حديثهم اطراء على الجيش وأعماله (١٨) وظل رجال الوفد  
العثماني فى مصر بضعة عشر يوما بين مقابلات وولائم ، واجمعت كلمة  
من حادثهم على أن البلاد ليس فيها أى اضطراب واكد لهم الخديو أن  
الجيش على طاعته وبذلك انتهت مهمتهم (١٩) وغادر الوفد القاهرة الى  
الاسكندرية فى ١٨ أكتوبر ١٨٨١ (٢٠) .

والجدير بالذكر أن انجلترا وفرنسا استاعتا من حضور الوفد  
العثماني الى مصر على غير اتفاق معهما واعتبرتاها تدخلا فى شئون مصر

الداخلية. وطلبتا من الحكومة العثمانية تقصر مدة اقامته (٢١) كما انتهز السير ادوارد مالت التوصل الانجليزي الفرصة لسكى تبسط بلاده نفوذها على مصر فطلب من حكومته ارسال بارجة حربية الى مياه الاسكندرية فاجابته الى طلبه كما اتفقت مع الحكومة الفرنسية على أن ترسل هي الأخرى بارجة على أن تفسد البارجتان الاسكندرية حين مبارحة الوفد العثماني مصر ، وفعلا حدث ذلك حيث غادرت البارجتان ميناء الاسكندرية في ٢٠ أكتوبر ١٨٨١ أى غداة سفر الوفد العثماني (٢٢) .

هذا عن موقف الدولة العثمانية تجاه الثورة العربية عقب مظاهرة عابدين أما عن موقفها من المؤامرة الشركسية (٢٣) فانه بعد أن ارسل الخديو الى السلطان بخصوص هذا الموضوع وطلب منه ارشاده حول الأحكام القاسية التي اصدرها العربايون ضد الشركاسة ويقترح عليه عدم تنفيذ الأحكام (٢٤) وقف السلطان مؤيدا لموقف الخديو وسى من ذلك سرورا بالفا وتمنى للخديو الخير وقال « انه طالما يظل الخديو مقيما على اخلاصه الذى اظهره للدولة العلية حتى الآن . . فانه سيجد الدولة العلية مساعدة ونصيره له على الدوام » (٢٥) .

ومع ان الأحوال في مصر كانت غير مستقرة فانجلترا تمهد للتدخل العسكرى والخديو يشكو للسلطان من العربيين ويطلب منه - عن طريق رسالة بعث بها الى ثابت باشا بالاستئانة - ارسال قوات عسكرية تركية تقف امامهم بقوله « وقد راح هؤلاء الضباط ( يتصد العربيين ) يعملون للوصول الى اهدافهم بالتدريج كلما سنحت لهم الفرصة الى أن بلغوا حد السيطرة على جميع القوات العسكرية ، وهم الآن جارجون عن الطاعة كل الخروج وليس لهذا الوضع من علاج سوى اخذًا هذه القوات العسكرية من ايديهم وردها الى القانون والنظام وهذا يحتاج الى قوة عسكرية تقف امامهم » (٢٦) ولكن السلطان تردد في ارسال جنود عثمانيين الى مصر خوشية الصدام مع الدول الأوربية كما ان معظم المشايخ بالاستئانة اوضحوا للسلطان بان « ارسال عساكر المسلمين لقتال اخوانهم المسلمين يضر بمقام الخلافة » (٢٧) يضاف الى ذلك أن السيد احمد أسعد وهو من الشيوخ المقربين من السلطنة كان تمدح عربى امام السلطان (٢٨) وذكره بأنه الرجل الذى يرجى منه الخير لمصر .

ولمعالجة الموقف استقر رأي السلطان العثماني على ارسال بعثة الى مصر بحجة اعادة الامور فيها الى نصابها ، ومعالجة الاحوال على اساس الاستفادة من الخلاف بين الخديو والعرايين ابتغاء تثبيت سلطة الدولة في مصر (٢٩) وفي الثالث من شهر يونية ١٨٨٢ عين السلطان مصطفى درويش باشا احد رجال الحاشية السلطانية مندوبا عثمانيا ساميا وعهد اليه برئاسة وفد مكون كما تذكر الوثائق التركية من « نجله ، وأربعة من اليساوران وكتابه الخاص ونحو تسعة من خدم المابين (٣٠) . ومجموع الذين سياتون في معيته حوالي ثلاثين نفرا ، وفوق ما تقدم سيكون في زففته حطمي بك مدير مكتب تلفراف المابين السلطاني ، وان الذين سياتقونه من يعرف اللغة العربية » (٣١) وأمره بالسفر الى مصر ، وكانت خطة الوفد ان يتظاهر درويش باشا بأنه جاء لتثبيت سلطة الخديو ، وان يتعامل أسعد باشا احد اعضاء الوفد مع عرابي ويوضح له رضى السلطان عنه (٣٢) .

وصل درويش باشا والوفد المرافق له الى الاسكندرية يوم الاربعاء الموافق ٧ يونية ١٨٨٢ على ظهر اليخت السلطاني عز الدين (٣٣) فأرسل الخديو وفدا برياسة على ذو الفقار باشا لاستقباله على ظهر اليخت كما أرسل عرابي من طرفه يعقوب سامي باشا وكيل نظارة الجهادية لاستقبال الوفد ، ولكن الخديو اعترض على ذلك وأبلغ محافظ الاسكندرية بعدم موافقته على اجراء اى شيء من رسوم الاستقبال من طرف العرايين للبعثة ، ولكن يعقوب باشا لم يكثر بالأمر بحجة انه موغد من طرف ناظر الجهادية لا يمنعه عن ذلك سوى اوامر منه (٣٤) وفعلا تم استحضار ثلاثة قوارب احداها لوكيلي الجهادية والبحرية والثاني لمحافظ الاسكندرية والثالث لمندوبى المعية ، وساروا سويا ولكن قارب الوكيلين سبق القارين الآخرين ووصل قبلهما بمدة ربع ساعة تقريبا وعند وصولهما استقبلهما دولتو درويش باشا بأعظم قبول واختلى بسعادة يعقوب باشا وتحدث معه مليا ، وبعدها وصل القاريان الآخرا وكان مقابلتهما اعتيادية ، ولما ركب ذو الدولة درويش باشا فى الزورق المعد لركوبه استصحب معه سعادة يعقوب باشا وكيل الجهادية فقط وترك الآخرين (٣٥) .

وفى اليوم التالي ، سافر درويش ووفده الى القاهرة فجمع مأثور

الضبطية بها بعض الاهالى ومررهم بالطريق الذى يمر منه درويش باشا  
« فآخذوا برغمون اصواتهم بمدح لحمد عرابى وخفض شأن الخديو » (٣٦)

ولما ذهب درويش باشا الى سراى الاسماعيلية قابله الخديو  
بالترحاب (٣٧) ورد له الزيارة بسرارى الجزيرة ، وهو المكان الذى اعد  
لاقامة الوفد (٣٨) كما حضر الى سراى الجزيرة بعض العلماء للترحيب  
بدرويش باشا وتحدث « الشيخ عيش والشيخ حسن العدوى وغيرهم من  
المنتخبين الى عرابى عن مساوىء الخديو » (٣٩) .

لقد كانت خطة البعثة العثمانية التظاهر لكل من الخديو والعرابيين  
بان السلطان معه ، وكان من مظاهر ذلك ان الوفد طلب نحو مائتى نيشان  
للضباط مكافأة لهم على اخلاصهم للسلطان كما طلب لعرابى النيشان  
المجيدى من الطبقة الاولى ، ولكن بعد ان منح الخديو درويش باشا  
رشوة قيمتها خمسون الف جنيه بالاضافة الى هدايا قيمتها خمسة  
وعشرون الف جنيه (٤٠) انضم درويش علانية الى الخديو وظهر ذلك فى  
محاولاته المتكررة للتخلص من عرابى فطلب اليه ان يسافر الى الاستانة  
لشكر السلطان على منحه الوسام (٤١) وان يترك له ديوان الجهادية وقد  
فطن عرابى الى العواقب المترتبة على تركه ديوان الجهادية والسفر  
الى الاستانة فقال له « خذ عليك عهده حفظ الأرواح واتشر ذلك فى  
الجرائد العربية والتركية والافرنجية وانا اتوجه الى الحضرة  
المملوكية » (٤٢) ولما تردد درويش باشا فى الامر ذكر له عرابى بان  
الامة لا تسمح له بمغادرة البلاد (٤٣) وانه لا يستطيع امام الازمة الراهنة  
التي نشأت من جراء عدوان التجليزى الذهاب الى اى مكان وانه سيعبر  
عن عزمانه للسلطان بالجميل برقية (٤٤) .

ولما فشل درويش فى مبتغاه اعطى اوامر سرية لقبطان الباخرة  
التركية (عز الدين) التي اقلته الى مصر بالاستعداد للرحيل والاعتلاج الى  
استنبول بمجرد سمود عرابى الى ظهرها ثم ذهب الى عرابى وأظهر له  
وده وطلب منه زيارة السفن المصرية الراسية فى الميناء وكذلك الباخرة  
التركية المذكورة ، ولكن عرابى أحس بالمؤامرة فذكر له انه ضابط مشاة  
ولا شئسان له بالبحر ، وان من الأولى عدم اذساعة الوقت فى زيارة

السفن (٥) ولا أحس رجال الثورة العرابية بمبول درويش باشا العدائية تجاه الحركة الوطنية أرسلوا عبد الله التديم إلى الأزهر حيث عقد اجتماعاً حضره حوالي أربعة آلاف شخص هاجم فيه البعثة التركية والخديو مما هز مركز درويش باشا ، وأصر المجتمعون على رحيله ولو رفض يقبض عليه ويرحل بالقوة (٤٦) .

أما عن موقف أسعد باشا عضو الوفد العثماني والمكلف بالتعامل مع عرابي فقد جمع توقعات من الأهالي محررة ضد الخديو « ومخنومة بالبن خاتم » (٤٧) .

استمر انحياز درويش باشا للخديو حتى بعد ضرب الإسكندرية ويتضح ذلك من رسالة بعث بها عرابي إلى أحد أصدقاء السلطان يشكو من انحياز درويش باشا إلى الخديو الذي انحاز إلى الإنجليز « مع أنه كان من الواجب على دولته ذمة وديانه أن ينصح الخديو بأن يتوجه معاً إلى العاصمة مقر الحكومة ليكونا خلف الجيش لا أن يتركا جيش الإسلام الشاهاني وينحازوا إلى جيش العدو المحارب (٤٨) .

استمر طلب الخديو للجنود العثمانيين حتى بعد ضرب الإسكندرية ويتضح ذلك من رسالة بعث بها الخديو إلى ثابت باشا يقول فيها « وقد رفعت إلى الحضرة السلطانية بوساطتكم كما كتبت المرة بعد المرة أصف الحالة وجميع مقاصدي منصبه على رفع الأذى عن هذه البلاد السلطانية وتوطيد الأمن فيها . . . وهذا يتوقف على قدوم العساكر السلطانية (٤٩) .

ويهمنا هنا أن نذكر بأن كلا من بعثتي نظامي ودرويش لم تحضرا إلى مصر بنية خالصة بل حضرتا لأثبات سلطة تركيا في مصر دون أن تعمل كلتاها أي عمل نافع لفض النزاع بين العرابيين والخديو أو لانقاذ مصر من مطامع إنجلترا (٥٠) بل تركتا مصر أشد ارتباكاً وأكثر اضطراباً عما كانت عليه ، ويكفي أن نذكر أنه لم يكذب يمضى على حضور درويش باشا إلى مصر بضعة أيام حتى وقعت مذبحة الإسكندرية في ١١ يونيو ١٨٨٢ ، وفي وجوده أيضاً استمر الموقف في التآزم وضربت الإسكندرية بمدافع الأسطول الإنجليزي وتمدد زاد موقف تركيا تجاه القضية المصرية تخبطاً

امتناعها فى بادىء الأمر عن الاشتراك فى مؤتمر الاستانة الذى عقد فى عاصمتها فى ١٥ يوليو ١٨٨٢ بفرض المحافظة على الأوضاع الحالية فى مصر وتأييد سلطة الخديو ، وكان امتناعها مبنيا على أن هذه المسألة داخلية بحتة ليس للدول الأوربية شأن بها كما كانت تعتقد أن إيفادها درويش باشا الى مصر سيحل المسألة المصرية وأن التحقيقات التى سيجريها ستسوى الموقف مما يعنى عن عقد مؤتمر بشأنها ، ولما أدركت خطأها اشتركت فى المؤتمر آخر الأمر ورضيت بإرسال جيش عثماني الى مصر وفوضت درويش باشا قيادة العساكر العثمانية المقرر إرسالها الى مصر وأبلفت الخديو بذلك (٥١) ولكن مات الأوان بضرب إنجلترا للاسكندرية بمدافع الأسطول وإرسال قواتها لاحتلال مصر ، وبينما كان الانجليز يتقدمون فى داخل البلاد كانت المفاوضات مستمرة بين اللورد دفرين سفير إنجلترا فى الآستانة والباب العالى للاتفاق على خطة إرسال الجيش العثماني الى مصر وكانت إنجلترا تقصد من هذه المفاوضات إطالة الوقت وتعطيل إرسال جيش من تركيا حتى تقمع الثورة فلا يبقى سبب لمجىء ذلك الجيش (٥٢) وفى غضون ذلك استطاعت إنجلترا تغيير ميزان المعركة ليس حريبا فقط بل سياسيا أيضا إذ استطاعت نتيجة للمحادثات المكثفة بينها وبين تركيا ، ونتيجة لجهود اللورد دفرين مندوبها فى الآستانة فى الضغط على السلطان (٥٣) فقد ربطت إنجلترا موافقتها على إرسال عساكر عثمانية باصدار منشور يتضمن أن عرابى عاص وناشر وان الدولة العثمانية ملتزمة بالمحافظة على الخديو وعلى نفوذه وامتيازاته (٥٤) وقد أصدر السلطان هذا المنشور مما قلب ميزان الحماس الشعبى وأضاع التأييد الإسلامى والمصرى للثورة (٥٥) وكان له اسوا الأثر فى النفوس وقد نشر هذا الاعلان فى جريدة الجوائب (٥٦) كما أرسلت نسخة منه الى عرابى (٥٧) .

استغلت إنجلترا هذا المنشور فى اضعاف الروح المعنوية لدى العرابيين فبادرت القوات الانجليزية بأذاعة اعلان السلطان بضم عرابى أثناء زحفها مما أدى الى ايقاع الفرقة والانحلال فى صفوف العرابيين وانصراف الناس عن تأييد عرابى فى القتال وخصوصا بعد أن تمكن أعوان الخديو وعلى رأسهم محمد سلطان باشا من توزيع

المنشور (٥٨) على النمسا والجنود الذين أحسوا بصدمة عنيفة بعد الإطلاق عليه مما أثر في روحهم المعنوية وضعفت حميتهم الدينية وسهل على الإنجليز دخول مصر (٥٩) .

هذا عن الموقف الرسمي للدولة العثمانية تجاه الثورة العرابية أما عن الموقف الشعبي داخل الآستانة — وخصوصا موقف رجال الدين — فكان في معظمه بجانب عرابي فالشيخ على أفندي مدرس السلطان والحائز على رتبة الصدر ( رتبة دينية ) كان يشيد بعرابي ويثني عليه ويقول عنه أنه « رجل عظيم متدين » (٦٠) والشيخ نجيب أفندي الحائز على رتبة ( الصدر ) أيضا كان من مؤيدي عرابي والمدافعين عنه لدى السلطان (٦١) كما كان بعض خطباء المساجد بالآستانة يدعون لعرابي على المنابر .

ومما سبق يتضح ان موقف الدولة العثمانية الرسمي تجاه الثورة العرابية ابتداء من بعثة نظامي باشا وحتى اعلان السلطان منشوره بعصيان عرابي كان قائما على أهمية تثبيت السيادة التركية على مصر دون الاهتمام بمصالح مصر ومصيرها ، كما أن الدولة العثمانية حينما منحت لها الفرصة بالتدخل المسلح في مصر بعد استجداد الخديو بها خشيت من رد فعل الدول الأوروبية وخصوصا إنجلترا ازاء ذلك ؛ ولما ترددت تركيا في نجدة الخديو عسكريا وتباطأت في اتخاذ مواقف محددة طلب الخديو من الإنجليز المعونة وكان له ما أراد مما أتاح لإنجلترا فرصة احتلال مصر .

## المصادر

(١) دار الوثائق القومية : محافظ أبحاث — المحفوظة ١١٦ دوسيه ٢ « الثورة العربية » ترجمه دفتر ٢٨٧ « البرقيات الواردة من استانبول والصادرة إليها أثناء الثورة العربية ١٢٩٨ هـ ( ١٨٨١ م ) » .

(٢) نفس المحفظه والدوسيه . برقية من انجناب الصالى الخديو الى الباب العالي بتاريخ ١٥ شوال ١٢٩٨ ( ٩ سبتمبر ١٨٨١ ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) عبد الرحمن الراقى : الثورة العربية والاحتلال الانجليزى ، القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٩ ص ١٦٦ .

(٥) محافظ أبحاث — المحفوظة ١١٦ « البرقيات الواردة من استانبول والصادرة إليها أثناء الثورة العربية » .

(٦) يقصد جيمس ساتوا ( يعقوب صنوع ) .

(٧) محافظ أبحاث ، المحفوظة ١١٦ ترجمة دفتر نمرة ٢٨٧ عابدين — البرقيات الواردة من استانبول والصادرة إليها أثناء الثورة العربية — برقية من انجناب الخديو الى الباب العالي بتاريخ ١٧ شوال ١٢٩٨ هـ ( ١١ سبتمبر ١٨٨١ ) .

(٨) البرقية السابقة الذكر .

(٩) دار الوثائق القومية . دفتر ٢٨٧ عابدين — صادر ٧ بتاريخ ٧ دى سنة ١١٨٨ ( ٢٠ سبتمبر ١٨٨١ ) .

(10) Public Record office, F. O. 407/18 No. 45 Earl Cranville to the Earl of Dufferin, September 18, 1881 Telegraphic No. 436.

(١١) الوقائع المصرية : العدد ١٢٢٩ فى ٨ اكتوبر ١٨٨١ .

(١٢) عبر الرحمن الراقى : المرجع السابق الذكر ص ١٦٥ .

(١٣) عمل ثابت باشا مندوبا للخديو بالاستانة أثناء قيام الثورة العربية واستمر هناك فى المدة من شهر ذى الحجة ١٢٩٨ الى صفر ١٢٩٩ وبعد عودته شغل عدة مناصب منها مهردار خديو ثم عين فى نظارتى الداخلية والأوقاف وبعدها شغل منصب رئيس ديوان الخديو ، انظر : دار المحفوظات العمومية : أوراق ربط معاشى سعادة محمد ثابت باشا — لولاب ٢٧ عين { محفوظه ٥٧٤ دوسيه ١٧٢٠٠ .

obeyikan.com

## الأداسة فى المظلاف السلبمانى وعسبر

أصل الإدرىسى ودعوته:

أصل الأداسة بلاد المغرب، وإنما جاءت قصة وصولهم إلى صببا<sup>(١)</sup> فى أعقاب هجرتهم إلى مكة فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى أى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى حينما رحل السيد/ احمد الأدرىسى<sup>(٢)</sup> مؤسس الطريقة الإدرىسية<sup>(٣)</sup> وصاحب المكانة الدينية المعروفة مع بعض أفراد أسرته من فاس بالمغرب إلى مكة المكرمة فى عام ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩م، واتخذها مقاما له حوالى ثلاثين عاما، وتلمذ عليه فيها العديد من أعلام الاسلام تذكر منهم السيد/ المنوسى والسيد/ المبرغنى والشيخ الرشيدى وغيرهم.<sup>(٤)</sup> ونظرا لانشغال السيد/ احمد ادرىسى بعلم الحديث وبمناظراته المتعددة لعلماء مكة وكبار رجال الدين بها علا شأنه، وبرزت شهرته العلمية ومكانته الدينية، واستحسن العديد من الناس مجالسه كما قام بعض اشراف انقوم لمجالسته للتزود من علمه، ولتفقه على يديه، وكان من هؤلاء بعض اشراف "صبببا" و"ببر - عريش" الذين دعوه لزيارة بلادهم التماسا لبركته على حد تصورهم، وانفتاحا بعلمه، هنا نجد الأدرىسى يستجيب لدعوتهم، ويؤسس فى بلادهم مركزا دينيا وقد إليه العلماء من كل صوب، كما وقد إليه العديد من أبناء عسبر الراغبين فى التزود بالعلم.

والغريب ان دعوة ابن ادرىس لقيت من اشراف وكبراء هذه المنطقة واهلها من الرعاية والتشجيع ما مكنها من الاستمرار، بالرغم من ان طريقته فى التصوف لا تتفق مع موقف امراء عسبر المشدد من الصوفية والمتصوفين والذين كانت بلدان تهامة ومنها صببا تابعة لهم فى ذلك الوقت، والذين كان من أبرزهم على بن مجتل للمغيدى الذى كانت تتبع له هذه البلدان فى العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجرى، وكان من أبرز المناصرين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى عسبر والحريصين على نبذ البدع والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين.

وقد انتهز ابن مجتل فرصة مكاتبة بعض طلاب عسبر الذين يتسمون بالغيرة الدينية يشكون له من شطحات ابن ادرىس الصوفية فدعا إلى عقد مناظرة بين ابن ادرىس الصوفى، وطلاب العلم العسبريين الشاكين منه والمتشبعين بالروح السلفية على ان تكون هذه المناظرة فى حضوره.

(١) شمال شرق جيزان على مسافة ٣٢ كم وجنوب أبها بحوالى مائتى وعشرة كيلو مترات.

(٢) يرجع نسبه إلى الامام ادرىس بن عبد الله المحض الحسينى بن فاطمة الزهراء رضى الله عنها، وقد وك فى العرائش من قرى فاس بالمغرب عام ١١٧٣ هـ (١٧٥٩م) وأخذ علوم الشريعة من علماء المغرب ومن أبرزهم عبد الوهاب التازى والجنبرى وغيرهما، وسلك طريقة الصوفية التى تعرف بالأحمدية نسبة إلى اسمه. للتفاصيل انظر: نخبة من الاماتة المصرين: معجم اعلام الفكر الاتمانى، المجد الأول، القاهرة- الهيئة المصرية للعامسة للكتاب ١٩٨٤م، ص ٤١.

(٣) هى احدى فروع الطريقة الشاذلية، وتعتبر الطريقة المنوسية فى ليبيا والطريقة المبرغنية فى السودان فرعين لها.

(٤) انمطم: السنة الثانية والأربعون فى ١١ ديسمبر ١٩٣٠م.

وبالرغم من خشية ابن مجتل من انتشار الصوفية في بلاده فقد تعاطف مع ابن ادریس وإن لم يقره على طريقته الصوفية.<sup>(٤)</sup>

وظل الادریسی مقیما فی صیبا یتولی للتدریس فی حلقتہ الصوفیة حتی وافقہ المنیة فی ١١ رجب ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) بعد ان ترك لأولاده ثروة مادية ومعنوية هائلة خصوصا وان قبره الذي اعتبره للناس مزارا كان يدر عليهم الكثير من الأموال فقد حصل ابنه وحفيده على الثروة وللمال من وراء أهمية هذا القبر<sup>(٥)</sup> بالنسبة للعامة من الناس.

والمعروف أن زيارة القبور للتبرك بالموتى لا تتفق مع تعاليم الإسلام الصحيحة، ولا مع المبادئ التي نادى بها الامام محمد بن عبد الوهاب والتي من بينها الابتعاد عن تقديس الأولياء أو جعلهم واسطة بين الله وعباده، ولكن نهاية الدولة السعودية المعروفة جعلت بعض الناس ينقلبون بانقلاب الأحوال، وعلى كل حال فإنه نتيجة اترحيب أهالي صييا بأبناء الادریسی وترغيبهم لهم في الإقامة بينهم أفاض السيد/ احمد الادریسی فی صیبا<sup>(٦)</sup> وتناسلوا بهاء وعاشوا كامرة يتمتع أفرادها باحترام الناس وتبنيهم<sup>(٧)</sup> إذ عاشت أسرته من بعده تتمتع بنفوذ وسلطان عريض يحفها الاجلال اللدینی مما اكسبها مكانة خاصة، فقد كان الناس يسعون إلى بابهم أفواجا للتعين الذكر والتزام الطاعة للوجبة والتوبة مما هم عليه والامتنال لما يقربهم من الله<sup>(٨)</sup> نشأة الإدارة الادریسیة:

وقد تولى الزعامة بعد السيد/ احمد الادریسی ابنه الأكبر السيد/ محمد الذي توفي في عام ١٢٩٦هـ ثم ابنه السيد/ علي الذي توفي في عام ١٣٢٤هـ وكانت زعامة هؤلاء مجرد زعامة دينية تقوم على أساس الفتوى والوعظ ونشر التصوف.

ونظرا لما تعرض له أهالي المخلاف في ذلك الوقت من مظالم على يد العثمانيين نتيجة لفساد الإدارة وانتشار الرشوة، وبعد البلاد عن سلطة الحكومة المركزية، ونتيجة أيضا لانقطاع الصلة بين الحاكم والمحكوم وترك مشاكل الأهالي بلا حلول خصوصا وإن اختلاف اللغة كان يعيق عملية التفاهم بين الحكام العثمانيين والأهالي كل هذا جعل الأهالي نافرين من الحكم العثماني وثائرين عليه لدرجة أن تناولت بعض القبائل على الحكومة العثمانية وعلى القوات العثمانية نفسها.

<sup>(٤)</sup> ادریس: الجزء الخامس عدد ذو القعدة والحج ١٤٠١هـ (يونيو وأغسطس ١٩٨٦م) تحت عنوان مناظر - احمد بن ادریس، مع فقهاء عسير - تحقيق الدكتور عبد الله ابو داهش، صفحات ٣٢٦، ٣٢٧، ١٦٥.

<sup>(٥)</sup> Hogarth: Arabia. Oxford, 1922, P. 120.

<sup>(٦)</sup> يمكن صييا ثلاثة هم السيد / مصطفى والسيد/ السنوسي والسيد/ العربي وقد حافظ هؤلاء على سلطاتهم فلم يتزوجوا من غير بيوت الأكلفاء والأقران أما عبد المتعال فقد سافر إلى مصر، وتزوج هناك، وأقام في قرية الزينية قرب الاقصر، وقد ولد له عدة اولاد سافر بعضهم إلى بلاد المغرب وتزوجوا من بيت السنوسي وأقاموا في القيروان.

للتفاصيل انظر: امين الريحاني، ملوك العرب، ج١، بيروت، ١٩٥١، ص ٢٩٧.

<sup>(٧)</sup> جورج لنتونبوم: بقطة العرب - ترجمة على حيدر الركابي، دمشق، مطبعة الترقى، ص ١٣٦.

<sup>(٨)</sup> الامرام: العدد ٩٥٥٦ بتاريخ ٥ شعبان ١٣٢٧هـ (٢١ اغسطس ١٩٠٩م).

ونظرا لتدهور أحوال منطقة المخلاف الأمنية، وعدم استقرارها لضعف سيطرة الأتراك على ربوعها<sup>(٩٩)</sup> عزم السيد/ محمد الأدريسى<sup>(١٠٠)</sup> أحد أحفاد السيد/ احمد الأدريسى على أن يدعم مركز مسرته الروحي ويطالب لنفسه بنفوذ زمني سياسى يستطيع من خلاله بناء بيت حاكم محرر من سيطرة الأتراك فامتغل ما كانت عليه الدولة من ضعف كما استغل استياء الأهالى من الحكم العثماني، وبقي متحينا للفرص التى يتمكن بها من اثبات مكانته كزعيم على البلاد مستغلا فى ذلك ثقافته الواسعة وقدرته الادارية فبدأ يجذب الانظار إليه، ولما كانت القبائل فى حالة تنافر وصراع مستمر فيما بينها، رأى الأدريسى ضرورة تواجد الوفاق فيما بينها، وتوحيد صفوفها لمواجهة العثمانيين.

وعندما قامت الحرب بين قبيلتي صبيا والجعافرة<sup>(١٠١)</sup> فى عام ١٢٢٠هـ بذل جهوده فى اخماد الحرب بين هاتين القبيلتين عن طريق الصلح والتفويض، والاحتكام إلى الشريعة الاسلامية، ولما نجح فى ذلك برزت مكانته، وبدأت القبائل تنجيه إليه، وزايت شهرته بعد أن قبض على بعض الأشراف التجريدين فى صبيا. الذين ضج الناس من أفعالهم ونفذ فيهم حكم الاعدام، كما قطع رؤوس ثلاثة أشخاص قصاصا، وأبدي أربعة عشر حدا من بندر جازان<sup>(١٠٢)</sup> هذا بالإضافة إلى انه عالج موضوع مسألة الدماء السابقة بين القبائل فأعلن اسقاط حقوق الأخذ بالثأر برضى جميع القبائل، وأزال ما بين الأهالى من تناقض وأحقاد، وخلصهم من جميع الضرائب واقتصر على أخذ الزكاة الشرعية منهم، كما أمر بأن يكف النساء عن الاختلاط بالرجال.

كل ذلك رفعه فى أعين الناس وقربهم إليه<sup>(١٠٣)</sup> خصوصا وأن الحكومة العثمانية كانت لا تهتم براحة الناس ولا بأمنهم، كما أنها كانت معزولة عن الأهالى، وصلتها بهم كانت مقصورة على جباية الضرائب والقيام ببعض المهام العسكرية، ومن هنا وجد الناس فى الأدريسى المنقذ والمخلص لهم مما يعانونه من فوضى واهمال، فبالغت العديد من القبائل فى تقديره كما بايعته قبائل صبيا والحميني والمخلاف السامى

<sup>(٩٩)</sup> أوضح السيد/ محمد الأدريسى ذلك فى خطاب مؤرخ ٩ رجب ١٢٢٧هـ/ يوليو ١٩٠٩م، كان قد أرسله إلى أحد أصدقائه بالقاهرة فقال "إن الفوضى كانت ضاربة أطنابها فى هذه البلاد عند وصوله إليها، وأن الإنسان كان لا يلمن على حيلته بأى صلح الحال إلى درجة أن الإنسان لا يولع (يوقد) سراج بيته فى الليل مخافة من عدو مراقبه فيبصره على اللسور فيضربه بالرصاص".

الأهرام، العدد ٩٥٥٦ فى ٥ شعبان ١٢٢٧هـ/ ٢١ اغسطس ١٩٠٩م، وايضا سيد مصطفى سالم: توكيد اليمن الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣، ص ٨٢.

<sup>(١٠٠)</sup> ولد فى صبيا عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، وتعلم فى الأزهر بالقاهرة، وتلمذ على يد السنوسيين بعض الوقت فى برقة، كما ذهب إلى السودان. وأقام حنقلة، وتزوج بابنه الشيخ هرون الطويل، شيخ الطريقة الأحمدية هناك قبل أن يستقر فى صبيا ويدبر أمورها.

Toynbee, Arnold J, Islamic World, Survey of International Affairs, Vol 1, London 1927, P. 276,

وايضا ملوك العرب للريحاني، ج١، ص ٢٩٨.

<sup>(١٠١)</sup> اسم قبيلة معروفة من قبائل المنطقة تمتد مواطنها من جريبة إلى المقاربة فى ساحل جازان.

انظر: عبد الرحمن البهكلي: نفع العود فى سيرة الشريف حمود- تحقيق: محمد العقيلي، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٩٠

<sup>(١٠٢)</sup> اسماعيل بن محمد الوشلى التهامي: من تاريخ اليمن الحديث: (فيل) نشر النشاء الحسن المعنى ببعض حوادث الزمن من الفرائد الواقعة فى اليمن- تحقيق: محمد الشعيبى. صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١٤٤.

<sup>(١٠٣)</sup> احمد بن احمد العقيلي: مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف صير، المملكة العربية السعودية، نادى أياها الأدبى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٢.

والجغرافة اماما على المخلاف السليماني، أما القبائل التي لم يتابعه فقد أدخلها تحت نفوذه بالقوة، وأخذ البيعة من زعمائها، كما أخذ منها عددا من الرهائن ليضمن ولاء تلك القبائل له.

ونتيجة لذلك انتشرت صولة الادريسي إلى "جيزلان" و "النضير" و"شدا" و"ضبيعة بن غفلان" مما يلى "رازح" ثم إلى حدود "قله" حيث ذهب إليها واحتلها على رأس حملة قبائلية<sup>(١٤)</sup>. يضاف إلى ذلك أن الادريسي استطاع أن ينشر دعوته خارج المخلاف حيث اعتنقت بعض قبائل صعدة تعاليمه<sup>(١٥)</sup> وبدأ يجمع من عشائرها عدة أفخاذ وبطون تحت لوائه.

وبعد أن استتب الأمر للادريسي أهل الأمن في هذه المناطق محل الفوضى والاضطراب، وعمل على تنظيم حياة البدو من النواحي القضائية والادارية والاقتصادية فوضع على رأس كل قبيلة من القبائل التابعة له قاضيا وأميرا من قبله بحيث يقوم الأول بالنظر في شئون الأهالي، بينما يقوم الثاني بالنظر في شئونهم الادارية والحربية ويجمع انزكاة، وقد أخذ على هؤلاء التهورد والمواثيق على القوام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحياء العلوم والمدارس وإقامة للشرعية اجراء الحدود.<sup>(١٦)</sup>

كما نظم الادريسي امور الموانئ التابعة له فجعل في كل ميناء جمركا<sup>(١٧)</sup> له عمال وموظفون ممن قبله لاستيفاء الرسوم الجمركية على الواردات والصادرات، وقد حرص الادريسي على أن تكون هذه الرسوم أقل مما كانت عليه خلال الحكم العثماني لهذه المنطقة حتى يظهر للناس عدالته وتمسيزه عن العثمانيين وبالإضافة إلى ذلك كون الادريسي في صببا أول مجلس للحكم من اربعة اشخاص وأقام محكمة من خمسة أعضاء<sup>(١٨)</sup> وعين وكيلاً له كان بمثابة "رئيس الحجاب" أو "الصدر الاعظم" كما عين امينا للمال كان دوره بمثابة دور وزير المالية في الوقت الحالي<sup>(١٩)</sup> ولكن هل يعنى ذلك أن الأمور استقرت للادريسي تماما وأصبحت للقبائل كلها طوع إرادته؟

الواقع أن الأحداث اثبتت عكس ذلك فبعثت القبائل مثل قبائل بني مروان وأشرف حرض كثيرا ما ثاروا على الأدراسة ورفضوا دفع الزكوات المقررة عليهم، وطرودوا عمال الادريسي من بلادهم، ولتجاوزا أحيانا إلى صنعاء طلبا للحماية. ويؤكد ذلك قيام الادريسي بحملات تأديبية على هذه القبائل وردها إلى طاعته.<sup>(٢٠)</sup>

(١٤) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص ٢٧٣.

(١٥) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ٨١.

(١٦) الوشلي: مصدر سابق، ص ١٩٣.

(١٧) هي مولى "ميدى" و "الشفيق" و "حبل" و "بركة" و "الغور".

(١٨) مبارك محمد الحرشني: النظم الادارية والمالية في تهامة عسير خلال الاشراف السعودي، جدة ١٤٠٥هـ، ص ٥٨.

(١٩) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٢٠) الوشلي: مصدر سابق، ص ٧.

وبالرغم من علو شأن الإدريسي فإن العثمانيين لم يهتموا بأمره في بداية ظهوره، فقد اعتبروه أحد رجال الدين المتصوفين الذين سرعان ما ينطفيء نجمهم خصوصا وأنه ليس لأسرته نسب راسخ في المنطقة التي يحكمها.

وعلى كل حال فلكى يؤكد الإدريسي وجوده في منطقة المخلاف ثار على الحامية التركية الموجودة فيها في عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وخاض حربا مريرة معها مستغلا في ذلك نفوذه الديني على الأهالي حتى استطاع أن يؤسس إمارة مستقلة له. (٢١)

والسؤال الذي يطرح نفسه هو إذا كان الإدارة اغرابا عن هذه المنطقة وليس لهم في أركانها خؤولة أو عمومة أو عصبية توطن أقدامهم إذا تحزب الأمر ضدهم فكيف دانت لهم الأمور في منطقة المخلاف السليماني و عسير؟

الواقع أن النفوذ الديني الذي كان يتمتع به أفراد هذه الأسرة هو كل ما يملكونه في هذه البلاد فقد انجذبت إليهم قلوب الناس بعد أن ملئت البلاد ظلما والدليل على ذلك أنه كان يرد إلى السيد/ محمد الإدريسي يوميا ما بين أربعة وخمسة آلاف شخص يصلون معه المغرب والعشاء ثم يستمعون إليه وهو يخاطبهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ويحثهم على اتباع قواعد الدين الصحيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يمضي من الليل لكثره.

ولكى يؤكد الإدارة قدرتهم الدينية كانوا يظهرون أمام الناس بأنهم من اصحاب الكرامات والمعجزات ومما يروى في ذلك ما ذكره صاحب المخلاف السليماني ان الإدريسي كان يطلى وجهه بمسادة الفوسفور، ويخرج على زواره ليلا ليبيهرهم بتألق وجهه نتيجة للمادة الفسفورية التي يضعها عليها، وأنه كان أحيانا يحضر سلكا كهربائيا يلقه على حبل يمهده إلى من يصافحه فتتهز يده هذا شديدا فيظن المصافح أن الإدريسي من الأولياء أصحاب الكرامات. (٢٢) وهذا ان صح لا يتفق مع تعاليم الاسلام الصحيحة ولا مع المبادئ التي نادى بها الدعوة السلفية بنزذ البدع والعدول عن الاعتقاد في قدرة الأولياء على الاتيان بالأمور الخارقة للعادة.

ولما تعاضم أمر الإدارة حاولت الدولة العثمانية مواجهة الموقف معهم فأرسل إليهم السلطان محمد رشاد خان وفدا لمناصحتهم كان من بين أعضائه سليمان شفيق باشا متصرف عسير، وقد سار خلف هذا الوفد جيش كبير بقيادة سعيد باشا.

(٢١) مدحة درويش: العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤-١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٧٨م، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٥٥٦، ص ٣١٧.

(٢٢) محمد بن احمد العقيلي: تاريخ المخلاف السليماني، ج١، الرياض، دار اليمامة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٦٧٨.

ولكى يؤكد الإدريسي قوته أمام هذا الوفد وقدرته على مواجهة الأمور استدعى من القرى المجاورة لصبيا نحواً من أربعة آلاف رجل مسلحين<sup>(٢٣)</sup> لاستقبال أعضاء الوفد ظاهراً، وإن كانت الحقيقة أنه أراد أن يثبت امامهم أن لديه قوة قادرة على حمايته. وفي نفس الوقت استطاع الإدريسي بما يتمتع به من ذكاء اخفئه نواياه فأوضح الوفد أنه لا طمع له برياسة، وإن القبائل اعتادت أن تلجأ إليه برضا منها لحل ما بينها من مشاكل، وأنها تطلب منه أن يسعفها بالمرشدين لازالة ما بينها من ضغائن<sup>(٢٤)</sup>. وأنه لا هدف له سوى اصلاح الادارة والمحافظة على الأمن، وأنه يعمل لاجل مصلحة الدولة دون أن تكون له مصلحة سوى ما يرجوه من ثواب الآخرة ولكن المأمورين يحرفون الكلام عن مواضعه، ولما سأله الوفد عما أجراه من القصاص بغير أمر السلطان قال "اجريناه بمقتضى التراضى عليه من الجاني أولياء المجنى عليه وللمصلحة العامة في ذلك"<sup>(٢٥)</sup> فاقتنع الوفد بأقواله وأعرض عنه صفحا، وفوضه في بعض المهام التي كانت سببا في ازدياد نفوذه بين القبائل<sup>(٢٦)</sup> منها أن يرسل الإدريسي إلى القبائل من المرشدين ما يحل مشاكلهم صلحا بشروط أن يصحبهم موظف من قبل متصرف عسير ومنها الغاء الضرائب المفروضة من جانب الحكومة العثمانية على أهالي المنطقة والاكثفاء بما يحصل منهم من زكاة شرعية<sup>(٢٧)</sup> وبذلك تمكن الإدريسي من الحصول على اعتراف الحكومة العثمانية بهيئته على المنطقة وتم سحب الفرقة العسكرية التي ارسلت من الاسنانه إلى عسير وبعد أن نجح الإدريسي في توطيد مكانته في المنطقة التي امتدت إلى البرك شمالا وإلى الموسم جنوبا عمد إلى تشكيل هيكل ادارى ثابت قوامه الوزراء والقضاة وقادة الجيش، فشكل وزارة من أربعة وزراء أولهم يحيى زكري حكمي الذي كان بمثابة الوزير الأول الذي يرافق الإدريسي في كل جولاته، والثاني كان يحيى عوض باصهي الذي اختص بالشئون المالية فكان يشرف على كل ما يتعلق بالصادرات والواردات والثالث كان حمود بن سرداب الحازمي الذي اختص بالاتصال بالقبائل وفض المنازعات فيما بينها كما كان بمثابة المسئول عن اعداد الجيوش. اما الوزير الرابع فكان محمد ظاهر رسوان الذي حاس عليه قياده الجيوش في المعارك.

وإلى جانب ذلك أنشأ الإدريسي محكمة شرعية في صديا وعين مديرا للشرطة، ومحتسب لمراقبة الاسواق والحفاظ على الاخلاقيات والقيم والحث على أداء الصلاة في أوقاتها.<sup>(٢٨)</sup>

<sup>(٢٣)</sup> محمد بن احمد العقيلي: مذكرات سليمان شفيق باشا، ص ٣٨.

<sup>(٢٤)</sup> نفسه.

<sup>(٢٥)</sup> الوشلي: مصدر سابق، ص ٨٩.

<sup>(٢٦)</sup> المقتطف: الجزء الخامس من المجلد الثاني والثمانين بتاريخ أول مايو ١٩٣٣. مقال للاستاذ فؤاد حمزة تحت عنوان "اشراف بلاد العرب - اشراف ابو عريش وآل عائض والإدارة"، ص ٥٤٧.

<sup>(٢٧)</sup> مبارك الحرشني: مرجع سابق، ص ٥٩.

<sup>(٢٨)</sup> نفسه، ص ٦٠-٦١.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل تم ازالة الخلاف بين الادريسي والدولة العثمانية بعد هذه المقابلة؟ الواقع أن سليمان باشا متصرف عسير ظل يشكو فى مذكراته مر الشكوى من لجوء الادريسي لكافة الطرق لتقوية نفوذه على حساب الدولة العثمانية، ومن ذلك أنه كان يرسل رجاله إلى القبائل دون علمه ومنها رفضه تسليم الفارين من وجه العثمانيين إلى صبيبا بحجة أن تسليم الدخيل ليس من عادات العرب، ومنها دعوته إلى رجال القبائل بعصيان الحكومة والتمرد عليها.

ونظرا لفقدان الثقة بين الطرفين أخذ الادريسي أهفته للزحف على أبها مركز القيادة التركية فى ذلك الوقت، وقاعدة المتصرفية فأرسل بمنشوراته إلى القبائل يدعو فيها كل قبيلة إلى الزحف على أبها<sup>(٢٩)</sup> فى عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م وشدد الادريسي الحصار على أبها، ولكن متصرفها العثماني سليمان شقيق كمالى استطاع تحصين المدينة بإقامة الخنادق والسدود فى منافذ أبها الخارجية حتى أصبحت البلدة عبارة عن قلعة، ولما قامت قوات الادريسي بالهجوم على أبها لم تجد الأمر سهلا، فظلت تحاصر المدينة حوالى سبعة شهور أكل الجيش العثماني حلالها الهرر والكلاب ونتيجة لتفاقم الموقف حاولت الدولة العثمانية التفاوض مع الادريسي فأرسلت بعض مندوبيها إليه، غير أن الادريسي اعرض عنهم ورفض مفاوضاتهم<sup>(٣٠)</sup> واستمرت قواته فى حصارها، حتى استطاعوا زحزحة العثمانيين عن بعض مواقعهم، ونتيجة لذلك أرسلت الدولة العثمانية حملة قوية لفك حصار أبها شارك فيها كل من شريف مكة الذى كانت له قرابة خوولة فى عسير، فانخرط الأهالى فى سلك طاعته ولم يبق فى طاعة الادريسي سوى قبيلة زهران فى شمال عسير<sup>(٣١)</sup>، ونتيجة لذلك انسحب الادريسي إلى المرتفعات، وكله تصميم على استخلاص كل مناطق عسير من الأتراك أو إجبارهم على الأقل على الاعتراف بوضعه فيها.

تحالف الادريسي مع ايطاليا وبريطانيا ضد الدولة العثمانية:

وبعد اعلان الحرب بين ايطاليا والحكومة العثمانية عام ١٣٢٩هـ، ١٩١١م بسبب الأطماع الإيطالية فى ليبيا استغل الادريسي الموقف لصالحه، ونجح فى تشديد قبضته على المناطق التى تحت سيطرته كما اتفق مع الحكومة الإيطالية على ان يقف بجانبها ضد العثمانيين فى نظير أن تمده بما يحتاج إليه من المال والذخيرة والعتاد، هذا فى الوقت الذى كان يجب عليه مساندة السنوسيين المسلمين فى ليبيا خصوصا وأن جده كان على اتصال بهم، كما أنه تتلمذ على يديهم بعض الوقت يضاف إلى ذلك أنه فى الوقت الذى انتاب فيه العالم الاسلامى موجه من الحماس لمساندة لمقاومة الليبية ضد العدوان الإيطالى البشع الذى هدد وجود

<sup>(٢٩)</sup> مذكرات سليمان شقيق، ص ٦٤.

<sup>(٣٠)</sup> نفسه، ص ٦٩.

<sup>(٣١)</sup> اسماعيل الوشلى: مصدر سابق، ص ٩٥.

الاسلام دافه فان الادريسي استعان بالاسطول الايطالى لطعن الدولة العثمانية خلال محتتها. كل ذلك يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي دفعت الادريسي إلى ذلك.

الواقع ان الادريسي كان يحاول تثبيت أركان حكمه في المناطق التي يحكمها، ولما كان ذلك لا يستمر الا بمساعدة قوى خارجية فقد استعان بالايطاليين لتحقيق طموحاته دون أن يظن لمخاطرهم واستطاع بدعم منهم ان يستحوذ على ميناوى جيزان وميدى<sup>(٢٢)</sup> ولما استفذت اغراض الايطاليين معه تخلوا عنه مما جعله ينتقل إلى الانجليز، فعقد علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية وكان أول حاكم عربي يتحالف مع الانجليز صراحة وأول من حمل السلاح ضد الدولة العثمانية<sup>(٢٣)</sup>. كما ان السؤال المطروح هنا أيضا هو ما هي مصلحة كل من ايطاليا والانجليز في التحالف مع الادريسي ومساندته؟

الواقع أن ايطاليا كانت تتطلع إلى فرض سيادتها على اليمن وعسير، وأحكام قبضتها على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر بعد أن استولت على اريتريا، يضاف إلى ذلك أن عدا كل من الادريسي وايطاليا للدولة العثمانية قد جدد بينهما، ومن هنا استفادت ايطاليا من ارتباطها بالادريسي في زعزعة وأضعاف الموقف العثماني في المفاوضات التي جرت بين العثمانيين والايطاليين، وأدت إلى استيلاء ايطاليا رسميا على طرابلس الغرب.<sup>(٢٤)</sup>

أما عن انجلترا فقد ساندت الادريسي لاعتقادها بأنه سيكون سندا لها ضد العثمانيين فيمنعهم من استخدام موانئ البحر الأحمر ويدعم مركزهم في الجنوب.

وهنا يحق لنا ان نتساءل كيف يقف شخص مسلم متدين مثل الادريسي بجانب دولة أجنبية مثل ايطاليا سفكت دماء المسلمين في ليبيا واستباححت اعراضهم في الوقت الذي كان يجب عليه مؤازرة الدولة العثمانية التي كانت تقف في موقف المدافع عن العالم الاسلامي؟

لقد برر الادريسي موقفه بأن الدولة العثمانية كانت كثيرا ما تنكث عهودها معه، فكثيرا ما اتفقوا معه ثم نقضوا عهودهم كلما والتهم الفرصة، كما أوضح ان قلة تدين الأتراك جعل البدو ينفرون منهم<sup>(٢٥)</sup> هذا إلى جانب رغبته في أن تكون عسير للعسيريين لا للعثمانيين ولا لغيرهم ومن هنا لجأ إلى الأجانب لتخليصه من الأتراك، وهذه الطريقة كثيرا ما كانت تمارسها الكيانات التي لا جذور لها ولا مقومات.<sup>(٢٦)</sup>

ويمكننا أن نضيف إلى جانب ما ذكره الادريسي انه بعد أن تولت جمعية الاتحاد والترقي الحكم في الدولة العثمانية، بدأت حركة التتريك التي اساعت كثيرا إلى الولايات غير التركية التابعة للدولة، كما ترأى

<sup>(٢٢)</sup> مبارك الحرشني: المرجع السابق، ص ٤٢.

<sup>(٢٣)</sup> أمين الريحاني: ملوك العرب، ج١، ص ٢٩٨، وانظر أيضا:

Hurewitz: J.C: Diplomacy in the Near And Middle East, Vol2, P.12.

<sup>(٢٤)</sup> مبارك الحرشني: مرجع سابق، ص ٤٢.

<sup>(٢٥)</sup> سيد مصطفى سالم. مرجع سابق، ص ١٠٠، ١٥٨.

<sup>(٢٦)</sup> نفس المرجع

اهمال شئون العرب، هذا بالإضافة إلى رفض العثمانيين الاعتراف بوضع الأدريسى على النقيض مما فعلوا مع الامام يحيى الذى تصالحوا معه واعترفوا به يضاف إلى ذلك رغبتهم فى القضاء عليه كل ذلك دفعه إلى الانحياز للإيطاليين ثم إلى الانجليز بعد ذلك. وإذا كان ذلك كذلك فهل كان رأى العام الإسلامى فى منطقة المخلاف السليمانى وعسير راضيا عن انضمام الأدارسة للأجانب.

الواقع أن رأى العام فى هذه المنطقة كان غير راض عن هذا التحالف بل كان متعاطفا مع العثمانيين بصفتهم مسلمين<sup>(٢٧)</sup>، ومن هنا حرص الأدريسى على عدم اظهار علاقته مع البريطانيين والإيطاليين أمام مواطنيه حتى لا يتأثر مركزه الدينى لدى أتباعه نتيجة لاتصاله وتحالفه مع غير المسلمين<sup>(٢٨)</sup>. ولكن هذه الأمور تغيرت نتيجة لانضمام الدولة العثمانية الى ألمانيا التى كانت تحارب من أجل التوسع الاستعمارى.

وعلى كل حال فقد عظم شأن الأدريسى بعد أن نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا حيث أصبح لديه الكثير من الأسلحة والذخيرة خصوصا بعد أن اغرق الإيطاليون بواخر خفر السواحل العثمانية، واستولوا على ما فيها من سلاح أعطوا الكثير منه للأدريسى<sup>(٢٩)</sup>.

وهنا أيضا نتساءل هل كانت كل قوات الأدريسى من رجال المخلاف السليمانى أم أنه استعان بقوات أخرى؟

الواقع أنه بعد ان ثقل العبء على رجال قبائل المخلاف السليمانى رأى الأدريسى تخفيف الضغط عنهم بالاستعانة بغيرهم من رجال القبائل الأخرى عن طريق اغداق الهدايا والأموال عليهم فنشط فى استمالة بعض قبائل عسير، ونجح فى ذلك إلى حد كبير لدرجة أنه "استقبل فى جيزان مائتى مندوب عن قبائل عسير"<sup>(٣٠)</sup>. يضاف إلى ذلك ان الأدريسى تمكن من تجنيد قبائل "يام" و "حاشد"، و"بكيل" وعين لهم قائدين من رجال المخلاف هما منصور بن حمود أبو مسمار، وأحمد عبد الله المهزوبانى، كما استعان الأدريسى بجنود مرتزقة من الصومال شكل منهم حرسه الخاص لفترة، ولكن نظرا لعدم تألفهم مع الأهالى قام بتوزيعهم على المراكز التابعة لها<sup>(٣١)</sup> وأناط بهم مهمة أعمال الشرطة والحراسة.

وظل الأدريسى يعمل على تدعيم قواته فأعاد تحصين الجوانى التى فى حوزته، ووضع فيها المدافع الكبيرة وساعده على ذلك سهولة اتصاله بالقوى المسيطرة على البحر الأحمر كإيطاليا وبريطانيا كما كان

(٢٧) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢٨) فاروق أناطة: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٢٩-١٩١٨. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ٦٢١.

(٢٩) سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٣٠) فاروق أناطة: مرجع سابق، ٦٢٢.

(٣١) نفسه، ص ٥٨٤.

يساء من اسراء من العثمانيين، وخاصة ممن كانت لهم خبرة في المدفعية لتدريب جنوده، ورفع كفايتهم الحربي.

### فشل المفاوضات بين، الادريسي والدولة العثمانية:

عُزل موقف العداء مستحكما بين الادارسة والعثمانيين إلى أن اعلنت الدولة العثمانية عن رغبتها في المفاوضات مع الادريسي فقبل، وفتح باب المفاوضات معهم، ولكنها لم تسفر عن نتيجة إذ كان العثمانيون يرون الاعتراف بوضع الادريسي الخاص في امارته، وصرف مرتب شهري له من الدولة في مقابل ان يقدم الطاعة والولاء للامام يحيى وأن يتخلى عن تحالفه مع أعداء الدولة في حين كان الادريسي يتمسك بالمطالب التالية:

- ١- الاستقلال الاداري التام لامارته، مع الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية.
- ٢- عدم تدخل الدولة العثمانية في شئون موظفيه ورجاله.
- ٣- ان يتكون علم الادارسة من الهلال والنجمة مع كلمة التوحيد من جهة وعبارة محمد رسول الله من الجهة الأخرى.
- ٤- ان يكون الجنود من أبناء المنطقة المحليين.
- ٥- ان يكون تنظيم للجمارك والمعاهدات التجارية من حق الادارسة.
- ٦- ان تطبق في البلاد احكام الشريعة الاسلامية ، وتكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيها.
- ٧- ان تكون السكك الحديدية ومصلحة التلغراف وغيرها من المنافع العامة في قبضة الادارسة وتابعة لاشرفهم.
- ٨- أن يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطاني ترسله الاستانة إلى عسير على سفينة حربية وفي يد مندوب عال، ويقرأ في احتفال عام يختار الادريسي مكانه. هذا إلى جانب بعض البنود الخاصة بالمسائل الفرعية وغيرها.<sup>(١٢)</sup>

وعند تحليلنا لوجهتي نظر كل من الطرفين يتضح الآتي:

- أن الجانب العثماني لم يكن موقفا في شرطه تقديم الادريسي الطاعة للامام يحيى خصوصا وهو يعلم ما بين الطرفين من مشاكل وصعوبات سياسية ومذهبية هذا إلى جانب أن الادريسي خلال فترة المفاوضات كان نفوذه قد انتشر انتشارا هائلا وانتظمت احواله وتسلحت رجاله.

(١٢) المنار: المجلد ١٦، ج٦، ص ٤٧٠، وسيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص ١٨٥.

- أما عن شروط الإدريسي فقد كانت قاسية ومن الصعوبة على الدولة العثمانية قبولها خصوصا وأنها كانت تخشى أن يظهر في اطراف اركانها المترامية مئات مثل الإدريسي يدعون بأنهم اصحاب حقوق في بقعة ما من الدولة، لذلك كان من الطبيعي ان تفشل المفاوضات وتعود حالة العداء إلى ما كانت عليه.<sup>(٤٣)</sup> ومع ذلك فبننا نقدر للإدريسي موقفه في اشتراطه ان تكون اللغة العربية هي لغة التعليم والقضاء والادارة في الاتصالات مع الاستانة، وفي أن تكون أحكام الشريعة الاسلامية هي الأحكام المطبقة في امارته، فقد كان الإدريسي في مطالبه هذه جسورا وموقفه يدعو إلى الاعجاب.

وعلى كل حال فانه نتيجة للصلح الذي تم بين العثمانيين والامام يحيى اهتز مركز الامام امام عامة اليمنيين في الوقت الذي اشتد فيه نفوذ الادارة في منطقة المخلاف السليماني وعسير، ويرجع ذلك إلى ان القبائل اليمنية التي كانت قد اتخذت من الحرب مهنة وعملا لم ترض عن هذا الصلح، والتقت حول الإدريسي الذي استمر على عدائه للعثمانيين وواصل الحرب ضدهم يضاف إلى ذلك ان بعض اتباع الامام خصوصا من افراد قبيلة حاشد التي كانت يعتمد عليها الامام اعتمادا رئيسيا التقوا حول الإدريسي وبايعوه واصبحوا من جملة عسكره. كل ذلك شجع الإدريسي على اظهار العداء للعثمانيين ومواصلة الحرب ضدهم.<sup>(٤٤)</sup> وعندما قامت الحرب العالمية الأولى اقامت بريطانيا خطتها تجاه الدولة العثمانية على اساس التحالف مع اعدائها في المنظمة. ومن هنا ركز الانجليز انظارهم على الإدريسي مستغلين كراهيته للعثمانيين ، فمع انه لم يكن في استطاعته المشاركة في مجهودات الحرب، ولم تكن له قيمة عسكرية الا في نطاق حدوده المحلية فقد حاول الانجليز ضمه إلى صفوفهم خصوصا وانه كان يستطيع ان يشل حركة القوات العثمانية نظرا لأنه يتحكم في منطقة ساحلية هامة على ساحل البحر الأحمر يمكن عن طريقها وضع القوات العثمانية المرابطة في اليمن بين فكي كماشة أي بين عسير وعدن، كما أنه بإمكانه ان يعطل المواصلات العثمانية بين الحجاز واليمن، وان يهدد العثمانيين إذا ما هاجموا عدن، هذا بالإضافة إلى تمكنه من منع العثمانيين من استخدام سواحل البحر الأحمر كقواعد معادية ضد أساطيل الحلفاء في جنوبي البحر الأحمر.<sup>(٤٥)</sup>

ومن هنا رحبت بريطانيا بالتفاوض مع الإدريسي، ورحب الإدريسي من جانبه بالتفاوض مع بريطانيا توطئه للتحالف معهم لمحاربة الاتراك ونتيجة لذلك اصدرت الحكومة البريطانية اوامرها إلى المقيم السياسي البريطاني في عدن تطالبه بسرعة العمل على عقد معاهدة صداقة مع الإدريسي. ونتيجة لذلك دارت

(٤٣) نفسه.

(٤٤) فاروق اباطة: الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨ بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م، ص ٢٩٥.

(٤٥) سمعان الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ١٩٨٠، مقال للدكتور/ محمد السروجي تحت عنوان "موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى"، ص ٤٩٧، وأيضا جلال يحيى: الثورة العربية: القاهرة، دار المعرفة ١٩٥٩، ص ١٣٠.

المفاوضات بين الطرفين، حاول الإدريسي خلالها الحصول على الأسلحة والاموال من بريطانيا، في حين  
رغب الانجليز في التحالف معه لمساندتهم ضد اى محاولة عدائية يقوم بها الامام يحيى.<sup>(\*)</sup>

وانتهت في ٣٠ ابريل ١٩١٥ بمعاهدة يتضح منها معالم السياسة البريطانية في منطقة البحر الأحمر  
خلال الحرب العالمية الأولى فقد كان جل هدفها محاربة النفوذ العثماني المنافس لها في هذه المنطقة.

وفيما يلي نستعرض ملخصاً لأهم بنود المعاهدة:

١- ان الأهداف الرئيسية لهذه المعاهدة هي شن الحرب ضد العثمانيين وتعزيز ميثاق الصداقة بين السيد  
الإدريسي ورجال قبائله وبريطانيا.

٢- يوافق السيد الإدريسي ان يشن الهجوم ويحاول طرد العثمانيين من قواعدهم في اليمن، وان يضايق  
القوات العثمانية في اليمن باقصى قوته، ومن ثم يوسع رقعة امارته على حساب العثمانيين.

٣- ان هدف السيد الإدريسي الأول ضد العثمانيين فحسب ولا يمس ما يثير الخصومة والعداء مع الامام  
يحيى الذي لم يمد يده فعلاً للعثمانيين.

٤- تلتزم الحكومة البريطانية بحماية اماره السيد الإدريسي ضد اى هجوم بحري يشنه أى عدو لضمان  
الاستقلال بامارته، وتتعهد بريطانيا بان تتخذ جميع الوسائل الدبلوماسية للنظر في المشاكل التي تنشأ بين  
السيد الإدريسي والامام يحيى وبين أى منافس.

٥- ليست لدى حكومة بريطانيا اى رغبة في توسيع حدودها في غرب الجزيرة العربية ، ولكنها لا ترغب  
إلا ان ترى مختلف حكام العرب يعيشون معا في سلام، كل في نطاق امارته، ولكهم يحتفظون بصداقة  
الحكومة البريطانية.

٦- ان الحكومة كدليل منيا على تقدير العمل الذي سيقوم به السيد الإدريسي امدته بالمال والمعدات الحربية،  
وستستمر في تقديم العون له في الحرب طيلة مدة اشتراكها بقدر النشاط الذي يقوم به السيد الإدريسي.

٧- انه في الوقت الذي تفرض فيه بريطانيا الحصار على الملاحة في جميع الموانئ العثمانية فى البحر  
الأحمر منذ عدة اشهر فقد اعطت السيد الإدريسي الحرية الكاملة فى الملاحة والتعامل التجارى بين  
موانئه و عدن، وان بريطانيا اذ تقدم هذا الامتياز رمزاً للصداقة القائمة بينها تتعهد بأن هذا الامتياز  
سيستمر ولن يتعرض للتوقف.<sup>(٤٦)</sup>

وهكذا انعقدت بريطانيا مع الإدريسي على محاربة العثمانيين واستفاد قوتهم، ومنعهم من استخدام  
الموانئ اليمنية ضد مصالح بريطانيا فى مقابل أن تتعهد بريطانيا بمساعدته عسكرياً ومادياً حتى يستطيع

(\*)Hurewitz, J.C. op.cit, vol 2 , p. 12.

(٤٦) محمد بن احمد العتيبي: تاريخ المخلاف السليماني، ج ٢، ص ٧٣٣-٧٣٤، نقلاً عن جريدة عكاظ، العدد ٢ بتاريخ  
١٩٧٩/١٢/٢٤.

المحافظة على بلاده كما تسمح لسفنه بالمرور في البحر الأحمر والاتجار مع ميناء عدن<sup>(٤٧)</sup> ، وبموجب هذه المعاهدة امتدت بريطانيا الادريسي بكميات كبيرة من الاسلحة والذخائر، ونظرا لأن الادارسة كانوا يفضلون استعمال الاسلحة التي كانت ايطاليا قد امدتهم بها من قبل لخبرتهم بها وقدرتهم على استعمالها<sup>(٤٨)</sup> فقد طالب الادريسي بريطانيا امداده بكميات من الذخيرة التي يمكن استخدامها بواسطة البنادق الايطالية مما اوقع الانجليز في مأزق خصوصا بعد أن اعربت ايطاليا عن عدم قدرتها على توفير مثل هذه الذخيرة ولهذا قامت بريطانيا بالاتصالات اللازمة مع الحكومة الفرنسية لاجابة مطالب الادريسي وتزويده بالامسحة والذخائر اللازمة لقواته.<sup>(٤٩)</sup>

ونتيجة لتسليح الادارسة بالذخائر المناسبة قاموا في مايو ١٩١٥ بمهاجمة "اللحية" تحت قيادة مصطفى ابن عبد المتعال الادريسي الذي قسم جيشه إلى قسمين قسم برئاسة احمد الحازمي وتوجه بمحاذاة الساحل إلى ميناء اللحية، والقسم الآخر وكان يقوده الحسن بن احمد بن مسمار وتوجه إلى "دير حسين". ونظرا لعدم قدرة جيش الادارسة على اقتحام ميناء اللحية قام الاسطول البريطاني بضرب هذا الميناء من البحر تأكيدا من بريطانيا له مساعدتها للادريسي<sup>(٥٠)</sup>، وبذلك تمكن الادارسة من الاستيلاء على ميناء اللحية واتخذوه مركزا لقيادتهم كما نجح الحسن بن مسمار في الاستيلاء على "دير حسين" ولكن ذلك لم يستمر طويلا حيث ثارت حناظر العثمانيين على الادريسي واستطاعوا التقدم إلى معسكر الادارسة في "دير حسين" والاستيلاء على ما فيه من اسلحة وذخائر<sup>(٥١)</sup> كما استطاعوا الاستيلاء على معسكر "العطن" واستعادة ميناء "اللحية" مما دفع قائد الادارسة إلى الالتجاء للاسطول البريطاني الذي صب نيران مدافعه على ميناء اللحية للمرة الثانية فاضطر العثمانيون إلى إخلائها<sup>(٥٢)</sup>.

ولكى تؤكد بريطانيا تحالفها مع الادريسي عقدت معه معاهدة ثانية في ٢٢ يناير ١٩١٧م؛ جددت فيها المعاهدة السابقة، كما اعترفت له بالسيادة على تهامة حتى اللحية في الجنوب، والقنفذة في الشمال<sup>(٥٣)</sup> ، هذا بالإضافة إلى اعترافها باستيلاء الادريسي عن جزر فرسان<sup>(٥٤)</sup> من العثمانيين وبأنها لصبحت جزءا من ممتلكاته وتعهدت بحمايته من أي اعتداء خارجي، وتعهد هو بعدم اقامة علاقات سياسية او تجارية مع أي حكومة اجنبية قبل الرجوع إلى بريطانيا.

<sup>(٤٧)</sup> فاروق اباطة: مرجع سابق، ص ٥٨١، والمقتطف: المجلد التاسع والخمسون، ج٣، سبتمبر ١٩٢١، ص ٢٦٧، تحت عنوان "بريطانيا العظمى والعرب".

<sup>(٤٨)</sup> Jacob, H.F: Kings of Arbia . London, 1923, P. 176.

<sup>(٤٩)</sup> فاروق اباطة: مرجع سابق، ص ٦٢٤.

<sup>(٥٠)</sup> نفسه، ص ٥٨١.

<sup>(٥١)</sup> محمد بن احمد العقيلي: المصدر السابق، ص ٧٢٩.

<sup>(٥٢)</sup> نفسه، ٧٣٠.

<sup>(٥٣)</sup> بلده على بعد ٢٠٠ ميلا إلى جنوب جدة.

<sup>(٥٤)</sup> تبعد عن جيران ستين ميلا بحريا، طولها ١٠٠ كم وعرضها ٣٠ كم.

ومن هذه المصادفة يتضح أن بريطانيا كانت تعتبر الإدريسي حليفا لها ولم تعتبره اميرا خاضعا لحمايتها ويؤكد ذلك اعترافها باستقلاله في جميع ممتلكاته<sup>(٥٥)</sup> وإلى جانب ذلك فمن الواضح ان الانجليز زادوا في ارضاء الإدريسي بحسم نقطة الخلاف الدائرة بينه وبين الشريف حسين شريف مكة بشأن قنفة لصالحه خاصة وأن قوته تتمركز على الساحل وان مصالحه تتأثر مباشرة بقوة البحرية البريطانية في البحر الأحمر. وهكذا استفاد الإدريسي من تحالفه مع الانجليز استفادة عسكرية واقتصادية كبيرة فحصل منهم على احدث الاسلحة والذخائر اللازمة لابعاد العثمانيين عن بلاده، كما استفادت بلاده اقتصاديا حيث تمتعت بنوع من الرخاء الاقتصادي، وذلك بفتح ابواب التجارة امامها فقد ظلت موانئه مفتوحة في وقت حوصرت فيه موانئ اليمن مما مكن من التحكم في السلع التجارية واسعارها كما تخلص من الاختناق الاقتصادي الذي شعر به سكان المناطق المجاورة وكان ذلك خدمة هامة اتضح اثرها خلال الحرب إذ كانت موانئه هي الموانئ الوحيدة المفتوحة في وقت كان الحصار البريطاني البحري للمناطق اليمنية يكاد يفتك بالحركة التجارية بها ويهدد بقيام المجاعات.<sup>(٥٦)</sup> وقد عبر عن ذلك احد شهود العيان بقوله "انقطعت البواخر البحرية وعظم الحرب، ودخلت سنة ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤م، واشتدت الحرب العظمى وامتدت القطارات والبواخر البحرية واصاب الناس ضرر شديد بسبب ذلك".<sup>(٥٧)</sup>

ولقد كان من النتائج المترتبة على هذا الحصار عدم قدرة الامام يحيى على دفع المرتبات الشهرية للقبائل الموالية له، مما جعل العديد من رجالها يفضلون ترك خدمة الامام والانضمام إلى الادارسة ويؤكد ذلك ما ذكره الوشلي بأنه بعد أن جاءت هذه القبائل إلى الامام وطلبوا منه تسليم مرتبهم الشهري اعتذر لهم.. لانقطاع النازل البحري بسبب المحاصرة.. فنزلوا إلى الإدريسي ليكونوا من جملة عسكره ويصلوا إلى مقصودهم من الكفاية فاجتمع عنده منهم ما ينيف على عشرة آلاف مقاتل، فرتب لكل واحد منهم سبعة عشر ريالاً شهرياً.. وامرهم بالتوجه إلى اليمن لقتال الدولة العثمانية".<sup>(٥٨)</sup>

وعلى كل حال فبانتهاى الحرب العالمية الأولى انهار الحكم العثماني تماما واشتد ساعد الإدريسي حيث تم استسلام القوات العثمانية في اليمن امام الانجليز، وقام البريطانيون بتسليم ميناء الحديد- التي تعتبر بوابة صنعاء إلى العالم الخارجى.<sup>(٥٩)</sup> إلى الإدريسي في عام ١٣٤٠هـ- ١٩٢١م مما جعل صنعاء تتفصل عن البحر، وساعد على اشتداد النزاع المسلح بين اتباع الامام يحيى والادارسة. والسؤال الآن هو هل كان

<sup>(٥٥)</sup> فاروق اباطة: مرجع سابق، ص ٥٨٥.

<sup>(٥٦)</sup> سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢١٣.

<sup>(٥٧)</sup> عبد الواسع بن يحيى الواسعي: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن. القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٣٢٩-٣٣٠.

<sup>(٥٨)</sup> الوشلي: مصدر سابق، ص ١٧٧.

<sup>(٥٩)</sup> جون بالدري: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن أبان الحكم التركي ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى سالم، القاهرة، المطبعة القبية، ص ١٣٤.

من حق بريطانيا تسليم ميناء الحديد للادارة، وهل استطاع الادارة ادارة هذا الميناء كما ينبغي؟  
 الواقع ان البريطانيين وجدوا ان من مصلحتهم تسليم الحديد للادريسي في محاولة منهم للضغط على  
 الامام يحيى حتى يقلل من تأييده للعثمانيين فسلموها له على كره من اهلها، كما ان ما فعلوه كان تدخلا ذريعا  
 في مسألة توزيع الأراضي والحدود بين الحكام المحليين المتنافسين مما اثار ثائرة الامام يحيى<sup>(١٠)</sup> لحرمان  
 بلاده من منفذ طبيعي وضروري لمناطق زراعة البن اليمنى، كما أنها منفذا طبيعيا لمنن تهامة الأخرى  
 والميناء الطبيعي لصعاء الا ان الادريسي فشل في ادارة هذا الميناء بعد أن ولى عليه ابن عمه مصطفى  
 الادريسي الذي اشتاط الأهالي غضبا من تصرفاته خصوصا لفرضه المكوس الباهظة على التجارة، واستبداده  
 بالمسكان مما جعلهم يفضلون المهجر: إلى عدن على الرغم من ان الادارة قاوموا هذه الهجرة، وقبضوا على  
 العديد من التجار المهاجرين<sup>(١١)</sup> وقامت بأسرهم في ميناء ميدي<sup>(١٢)</sup>

وعلى كل حال فإنه نتيجة لهزيمة ألمانيا وحليفاتها الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى فرض  
 الحلفاء شروطهم على العثمانيين والتي كان منها اقتطاع للبلاد العربية عنهم، وتقسيمها إلى عدة دويلات  
 ونتيجة لذلك انسحب المتصرف العثماني من عسير، وسلم ادارتها إلى آل عائض الذي نجح الادريسي في  
 استمالتهم إليه، وضمهم تحت لوائه، فدخلت عسير تحت السيادة الادريسية نتيجة لاتفاقية صيبا، والتي اتفق  
 بمقتضاها على ان تدخل عسير في حماية الادارة، وان يكون حسن بن عائض نائبا على امارة عسير من  
 قبل الدولة الادريسية على أن يرافقه في ادارة هذه الامارة مندوبا ساميا من قبل الادريسي وهو ابراهيم  
 الشوكاني في مقابل ان يدفع الادارة مبلغ خمسة آلاف ريال لآل عائض كمرتب شهري لرؤساء قبائل  
 عسير .

واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى نهاية عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م وبعدها بدأ حسن بن عائض  
 يتمرد على سيادة الادارة على بلاده، ويناوي مندوبهم في عسير، كما امتنع عن ارسال الزكاة المقررة على  
 اهالي عسير إلى الادريسي، وامر بصرفها على رؤساء قبائل عسير كمقررات سنوية لهم، وبالرغم من ذلك  
 فقد اتبع الادريسي سياسة الملاينة مع آل عائض في اول الأمر خشية ان يفلت الزمام من يده ولما اصر آل  
 عائض على معارضتهم للسيادة الادريسية، وتصلهم من اتفاقية صيبا رأى محمد الادريسي استعمال سياسة  
 الضغط معهم حتى ينيروا من موقفهم فقطع المواصلات مع عسير، وحاصرها اقتصاديا ولما لم يجد في ذلك  
 نفعا تشجع آل عائض على الثورة ضددهم والخروج على طاعتهم، ونتيجة لذلك جهز الادريسي جيشا بقيادة  
 حمود سرداب لدخول عسير واخضاعها بالقوة، ولما تقدم الجيش الادريسي في مركز الشعبين بطريق وادي  
 العوص والعقبة (الصماء) وجد رجال عسير في انتظاره، وعلى أهبة الاستعداد، وحدثت معركة انتهت

<sup>(١٠)</sup> فاروق اناطة: مرجع سابق، ص ٦٦٣.

<sup>(١١)</sup> سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ٢٦٢. وفاروق اناطة: الحكم العثماني لليمن، ص ٤١١.

<sup>(١٢)</sup> Jacob, H.F: Kings of Arabia, P. 249.

بانتصار العسيريين، وتراجع الجيش الادريسي<sup>(١٢٣)</sup> هذا في الوقت الذي كان فيه امام اليمن قد بدأ يتحرش بالادارة بعد استيلائهم على الحديدية خصوصا وانه احس بانقلاب موازين القوى في غير صالحه، ففي حين كان يطمح في توسيع رقعة مملكته بعد خروج الأتراك من بلاده، وذلك بالاستيلاء على اجزاء واسعة من أملاك الادارة او القضاء عليهم نهائيا وجد الانجليز يسلمون الادريسي ميناء الحديدية، مما أثار ثأرتهم، وجعله يشعل نيران الحرب مع الادارة.

والى جانب هذا وذلك كان الهاشميون يروجون دعائهم السياسية في منطقة المخلاف السليماني وعسير بهدف توطيد نفوذهم فيها والتخلص من نفوذ الادارة<sup>(١٢٤)</sup>، كما كان الشريف حسين يعد لترتيب قيام ثورة عربية كبرى ضد العثمانيين مما جعل بريطانيا تحاول التوفيق بينه وبين الادريسي وخلال ذلك الوقت العصيب بالنسبة للادارة توفي السيد محمد الادريسي في يوم الثلاثاء الثالث من شعبان ١٣٤١هـ/الموافق أوائل عام ١٩٢٣م وقبل أن نتقل إلى خلفاء الادريسي ينبغي لنا أن نذكر ان محمد الادريسي كان وبحق المؤسس الفعلي لامارة الادارة في منطقة المخلاف السليماني.

لقد قال عنه البعض انه استعمل الفسفور والكهرباء بقصد اقناع الأهالي بولايته، واتهمه البعض الآخر بادعاء المهديّة والوقوف بجانب اعداء الاسلام، ومع ذلك فلا يستطيع احد أن ينكر انه استطاع بما يتمتع به من ذكاء وعلم وحكمة سياسية وقوة إرادة ان يحافظ على الأمن في امارته ويوقف المنازعات المستمرة بين القبائل ويقنع الناس باتباع قواعد الدين، كما لا يستطيع احد ان ينكر انه وقف ضد العثمانيين بعد أن رأى منهم عدم الاهتمام بالمصالح العربية والاسلامية ومحاولتهم اضعاف حركة التتريك على العرب، وترك بلادهم تموج بالمظالم وتعجم بالفتن.

هذا عن رأينا في دور السيد/ محمد الادريسي اما عن خلفائه فيمكننا القول أنه بعد وفاة الادريسي انتعقدت البيعات الخاصة والعامّة لولده "الأمير علي" من اهل الحل والعقد بجهات صبيا وما والاها، ولكن نظرا لصغر سن هذا الأمير، وقلة خبرته لم يستطع تسيير دفة الأمور فحدثت منازعات بينه وبين وزراء والده الذين اصبح لا يطمئن اليهم، ويشك في نواياهم كما قام عمه الحسن بمنازعته على ملك الادارة، هذا بالإضافة إلى مجاهرة ابن عم والده مصطفى الادريسي برغبته في الاطاحة به حيث كان يرى انه أولى بتولي حكم الادارة منه.<sup>(١٢٥)</sup>

كل ذلك جعل الأمر يقلت من الأمير علي وجعل امارة الادارة تمر في ادوار الاضطراب الداخلي فقامت الحرب الأهلية بين أفراد هذه الأسرة في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م وكان من نتيجتها تفكك الامارة

(١٢٣) محمد بن احمد المقبلين: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٣٨-٧٤٠.

(١٢٤) احديحة احمد علي: الملاحات اليمنية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص ٥١.

(١٢٥) مبارك الحرشني: مرجع سابق، ص ٦٢.

الإدريسية، وتقسيمها إلى قسمين قسم تحت حكم الأمير على والأخر سيطر عليه عمه الذي جعل من مدينة الزيدية مقراً لملكه<sup>(٦١)</sup> وقام بجمع الجيوش وتعبئتها للتخلص من ابن أخيه.

وفى محاولة لاصلاح ذات البين بين الطرفين قام احد السنوسيين بالوساطة، ونظراً لتمسك الأمير على برفض المصالحة فتد رأى السنوسى خلعه من الامامة واقامة عمه الحسن مكانه، وإزاء ذلك لم يجد الأمير على بدأ من ترك العاصمة صيبيا والاتجاه إلى جيزان حيث جعل منها مقراً لاقامته، نظراً لوجود حامية عسكرية قوية تابعة له فى منطقة الحفاير، ونتيجة لذلك انتقل جهاز السلطة الحاكمة من صيبيا إلى جيزان، وكاجراء وقائى له قام بعزل الكثيرين من مساعديه الذى عاونوا والده، وأخذ يستعين بعناصر جديدة من الموالىن له بالرغم من قصور خبرتهم السياسية والإدارية.<sup>(٦٢)</sup>

ونتيجة لاضطراب الأمور فى الامارة الإدريسية بدأ الامام يحيى فى استغلال هذه الفرصة، فأخذ فى بسط سيطرته على الأراضى اليمينية التى كانت تحت حكم العثمانيين وان يحصر الادارسة فى الجزء الشمالى من عسير فقط ، كما أرسل قواته التى تزيد عن خمسين ألف مقاتل للاستيلاء على كل ما يقابلها من بلاد الادارسة ونتيجة لتدهور الأمور وعدم قدرة الأمير على مواجهة الموقف تم خلعه ومبايعة عمه الحسن اميراً على تهامة عسير فى عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. وخلال ذلك الوقت كان الملك عبد العزيز آل سعود قد أرسل وفداً من قبله مؤلفاً من ابن عسكر، ومحمد بن دليم ومصطفى النعمى. وعبد الرحمن ظافر النعمى، وعبد الوهاب ابو ملححة للاطلاع على حقائق الأمور، ومحاولة التوفيق بين افراد الاسرة الإدريسية.<sup>(٦٣)</sup> وما أن وصل الوفد إلى منطقة النزاع حتى كان الحسن الإدريسى قد رجحت كفته وأزاح ابن أخيه واجبره على التنازل له عن الامامة، والفرار إلى عدن.

ونظراً لاستمرار الامام يحيى فى توسعه داخل امارة الادارسة تحمل الحسن الإدريسى عبء الكفاح، واخذ يستهض الهمم لمقاومة القوات الغازية<sup>(٦٤)</sup> ولكنه لم يستطع فقد استولى الامام يحيى على معظم منطقة تهامة الجنوبية. وعندما رأى السيد/ الحسن الإدريسى ان القوات اليمينية ترحف منتصرة على الادارسة لتنتهم ما تبقى من امارتهم عرض على الامام يحيى سحب القوات الغازية والاعتراف باستقلاله الداخلى على ان يعترف له بالسيادة على امارته، ولما رفض الامام يحيى ذلك واستمرت قواته فى مواصلة زحفها طلب الحسن الإدريسى من الزعيم الاسلامى احمد الشريف السنوسى المشورة فأشار عليه أن من الخير له ان يرتبط بمعاهدة صداقة وحماية مع آل سعود، فرجع الحسن ذلك وانتدبه لتلك المهمة فتوجه إلى الحجاز<sup>(٦٥)</sup>

(٦١) الوشلى: مصدر سابق، ص ٢٢٥، ٢٢٨.  
(٦٢) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.  
(٦٣) محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٦٠.  
(٦٤) احمد طربين: الوحدة العربية ١٩١٦-١٩٤٥، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩، ص ١٣٩، وايضا امين الريحانى: مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٢.  
(٦٥) محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٦٠.

كما توجه وفد آخر إلى الرياض صاحبة العلاقات التاريخية بالمخلاف وعسير للاتفاق حول تأمين منطقة المخلاف ضد الأطماع الموجهة إليها. (٧١)

ضم الملك عبد العزيز إمارة الإدارة إلى ملكه:

وعلى أثر ذلك عقدت معاهدة مكة بين الملك عبد العزيز والسيد/ الحسن الإدريسي فسى ١٤ ربيع الثانى ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦<sup>(٧٢)</sup> وبمقتضاها تنازل السيد/ الحسن عن إدارة كافة شئون إمارته الملك عبد العزيز الذى نصبه حاكما عليها من قبله، وأمر بتشكيل مجلس شورى لمساعدته ينتخب رجاله من أهل الحل والعقد على أن تكون الأحكام والحدود الصادرة منه طبقا للشرع الشريف. (٧٢)

وبمعرفة الملك عبد العزيز اتخذ السيد/ الحسن بلدة أبو عريش عاصمة له يقوم فيها بإدارة شئون إمارته الداخلية فى حين يقوم الملك عبد العزيز بإدارة شئون الإمارة الخارجية ويضمن سلامة حدودها.

ولكى تتضح الأمور أمام الإمام يحيى أرسل الملك عبد العزيز إليه نسخة من معاهدة مكة للتصديق عليها، والكف عن مهاجمة إمارة الإدارة التى أصبحت تحت حمايته، وكانت المفاجئة عنيفة بالنسبة للإمام فأما أن يقر المعاهدة ويعترف بها، وأما أن يرفضها، ويصطدم بالقوات السعودية، وتكون الأمور غير محمودة العواقب وقد جنح الإمام يحيى إلى السلم فأجاب على رسالة الملك عبد العزيز ببرقية تتضمن الموافقة ثم أمر قائده بايقاف الحرب مع الإدارة والاستجابة إلى دعوة الملك عبد العزيز إلى المؤتمر الإسلامى فى مكة الذى انعقد فى عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م فأرسل وفدا إلى المؤتمر كانت مهمته التفاوض بشأن تحديد الحدود بين البلدين الشقيقين، وعقد معاهدة تنظم العلاقة بينهما، وقد عاد الوفد يحمل مقترحات الاتفاق إلى الإمام فلم تتل من جانبه قبولا، ونتيجة لذلك تعددت الرسائل والوفود بين الرياض وصنعاء لتسوية الأمور، وسافر مندوبو البلدين إلى عسير لدراسة الموقف والاتفاق على حل نهائى (٧٣) وخلال ذلك تقاضت الخلافات بين الإدارة وازدادت المواقف سوءا فيما بينهم مما جعلهم يفضلون الانضمام نهائيا إلى آل سعود والاتصاء تحت لوائهم فبعد اتفاق فى عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م تناول بموجبه السيد/ الحسن الإدريسي ومجلس شورا عن إدارة كافة شئون إمارته إلى جلالته الملك عبد العزيز آل سعود، وبموجب ذلك أصبحت هذه المنطقة رسميا ضمن أجزاء المملكة العربية السعودية وانتهت سلطة الإدارة عليها.

وعندما نقلت أجهزة البرق هذا النبأ إلى العالم كانت هناك مناقشات دائرة فى روما بشأن المصالح البريطانية والإيطالية فى منطقة البحر الأحمر وكانت إيطاليا تطالب بعسير، وقبل أن تتفق الدولتان على تقسيم

(٧١) Toynbee. Op.Cit, P. 323.

(٧٢) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، الرياض، دار الملك عبد العزيز، ص ٩٥.

(٧٣) جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص ٣٧٢، حافظ وهبه: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٧٤) المتطفت: المجلد الرابع والثمانون، الجزء الخامس ١٩٣٤، مقال للاستاذ أمين سعيد تحت عنوان "دولة اليمن ودولة آل سعود" بحث تاريخى فى نشأتها وتطورهما، ص ٦٠٤.

منطقة البحر الأحمر كانت منطقة المخلاف السليمانى وعسير قد دخلت ضمن السيادة السعودية. والسؤال الذى يطرح نفسه هو بماذا استقبل أهالى المنطقة انضمام امرتهم إلى آل سعود؟

الواقع أن الأهالى كانوا فى معظمهم من المعتنقين للمذهب السلفى الذى تأصلت جذوره فى نفوسهم، ومن هنا كانوا يحملون فى صميم قلوبهم اصدق الولاء والاكبار لآل سعود، يسيرن تحت لوائهم ودائمًا ما يلجئون إليهم فى حل مشاكلهم. <sup>(٧٥)</sup> وبالرغم من ذلك، ومع أن زعماء العديد من القبائل كانوا قد أرسلوا بتوقيعاتهم إلى الملك عبد العزيز بما يتضمن الموافقة على انضمام بلادهم إلى مملكته، وبالرغم من أن الحكومة السعودية كانت قد أمرت موظفيها بأن يلاحظوا منزلة السيد/ الحسن الادريسي ومكانته ويحافظوا على هيئته وكرامته هو وعائلته. <sup>(٧٦)</sup> فإن السيد/ الحسن لم يلبث أن حاول التخلي، عما اتفق عليه والانتقاض على الحكم السعودى فتقدم فى صيف ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م معلنا عصيانه، وتمكن من احتلال بلديتى "ابو عريش" و "جيزان" <sup>(٧٧)</sup> ولكن ذلك الموقف لم يستمر سوى ثلاثة ايام حيث وصلت الامدادات العسكرية السعودية ودارت معارك بين فلول الادارسة والقوات السعودية، تمكنت فيها القوات السعودية من استعادة زمام الأمور، واستطاعت القضاء على الفتنة مما اضطر الادريسي إلى الفرار هو وعائلته إلى "حرض" طالبا اللجوء السياسى، فزين له الامام يحيى امكانية البقاء وأمر باقامته فى مركز "ذهب حجر" بمقاطعة حرض.

ونظرا لخطورة ذلك الموقف طلب الملك عبد العزيز من الامام يحيى اعادة الادارسة الفارين إليه عملا بالاتفاقات المعقودة بينهما <sup>(٧٨)</sup> وحفاظا على السلام بين البلدين، ومن أجل ذلك دارت عدة مفاوضات طلب خلالها الامام يحيى العفو عن الادارسة اللاجئين إليه. وعن كل ما حدث منهم حيث أنهم استجاروا به، وقد وافق الملك عبد لعزيز على طلب الامام يحيى حفاظا على حسن الجوار بين بلديهما فأرسل برفقة إليه قال فيها: "إن جميع من التجأ إليكم له امان الله على ماله ودمه، وانه عفو شامل عن جميع ما مضى وحدث فى هذه الفتنة الشيطانية سواء فى حقوق الحكومة أو حقوق الاهلين وأن جميع من اعطيتموه الامان والمكان فهو تام على وجهه ما يحذرون شيئًا سواء فى ذلك الحسن وآله وغيره من الرعية". <sup>(٧٩)</sup>

وقد أجاب الامام يحيى على برفقة الملك عبد العزيز ببرقية طلب فيها أن يحرر للسيد/ الحسن عفوًا وأمانًا خاصًا به وقد رد عليه الملك شاكرًا له سعيه للإصلاح وقال: "انه يعطى امان الله وعهده للحسن ومن

<sup>(٧٥)</sup> احمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ج ٢، ص ٣٣٣.

<sup>(٧٦)</sup> المساء فى ١٩ رجب ١٣٤٩هـ (١٠ ديسمبر ١٩٣٠م) تحت عنوان "ابن السعود وعسير".

<sup>(٧٧)</sup> احمد طربين: المرجع السابق، ص ١٤١.

<sup>(٧٨)</sup> كان معاهدة العرو التى عقدت بين الجانبين السعودى واليمنى تنضى على الامام بتسليم الادارسة الفارين إليه.

<sup>(٧٩)</sup> المتقطف: مقال سابق ذكره، ص ٦٠٥.

تبعه على دمه وشرفه. وإن جميع ما فات منه لا يعاقب عليه، وأنه سيكون اخا عزيزا له<sup>(٨٠)</sup> بشرط أن يكون هناك ضمانا بحسن تصرفاته. كما وافق الملك عبد العزيز على أن يدفع مرتبا شهريا للدريسي.

ونتيجة لتوسط الامام يحيى وافق الملك عبد العزيز على عقد مؤتمر فى "ميدى" يحضره السيد/ الحسن ورجاله ومندوب من قبل الملك عبد العزيز ومندوب من قبل الامام يحيى لتسوية الأمور المتعلقة. وقد عقد هذا المؤتمر فى أواخر شوال ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م واستمر شهرين وانفض دون نتيجة.

وحرصا من الملك عبد العزيز على المحافظة على الأخوة الإسلامية بين مملكته ومملكة اليمن، وعدم اثاره مشاكل على الحدود بينهما طلب عقد معاهدة لتثبيت الحدود بين البلدين، وانتهى الأمر بعقد معاهدة الطائف فى ٦ صفر ١٣٥٣هـ (٢٠ مايو ١٩٣٤م) وفيها اعترف كل من البلدين باستقلال البلد الأخر. وسيادته التامة على أراضيه، كما اتفق على تسليم الادارة الفارين إلى اليمن للسلطات السعودية حيث تتم اقامتهم فى مكة المكرمة.<sup>(٨١)</sup>

ونتيجة ذلك انتهت عملية التوتر للقائمة بين البلدين، واصبحت منطقة المخلاف السليماني وعسير جزءا عزيزا فى جسد الوطن السعودى تتمتع مثل غيرها من اجزاء المملكة بما حباها الله به من الأمن والعدل واليسر والرخاء، كما شملتها الاصلاحات والمشروعات العمرانية التى يشهد بها كل من يزور المنطقة الجنوبية من المملكة أو يطرق بابها.

(٨٠) المقتطف: مقال سابق.

(٨١) عن تفاصيل معاهدة الصداقة الإسلامية والاياء العربى بين المملكة المتوكيلة اليمنية والمملكة العربية السعودية فى ٢٠ مايو ١٩٣٤م، انظر:

محمد فؤاد شكرى وأخران: نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، الانجلو المصرية، ص ٤٨٨-

## ثبت المصادر والمراجع

أولاً: وثائق منشورة:

-Hurewitr, J.C: Diplamacy in the Near and Middle East, 2 Vols , New York, 1956.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

- ♦ احمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
  - ♦ احمد طربين: الوحدة العربية بين ١٩١٦-١٩٤٥، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩.
  - ♦ احمد عبد الغفور عطار. صقر الجزيرة، ج٢، جدة ١٣٨٤هـ.
  - ♦ اسماعيل بن محمد الوشلى التهامى: من تاريخ اليمن الحديث: "ذيل" نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة فى اليمن، تحقيق محمد الشعبي، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
  - ♦ امين الريحانى: ملوك العرب، ج١، بيروت ١٩٥١م.
  - ♦ امين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، ج٢، الرياض، دار الملك عبد العزيز.
  - ♦ جلال يحيى: الثورة العربية، القاهرة، دار المعرفة ١٩٥٩م.
  - ♦ جورج انطونوس: بقظة العرب، تعريب على حيدر الركابى، دمشق، مطبعة الترقى.
  - ♦ جون بالدرى: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى سالم، القاهرة، المطبعة الفنية د.ت.
  - ♦ حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين. القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
  - ♦ خديجة احمد على: العلاقات اليمنية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٨٣م.
  - ♦ سمنار للدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس: البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة، القاهرة ١٩٨٠.
  - ♦ سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣.
  - ♦ عبد الواسع بن يحيى الواسعى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة، الطبعة الثانية.
  - ♦ فاروق عثمان. أباطة:
- (١)الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م بيروت، دار العودة، ١٩٧٩.

(ب) عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨ ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.

♦ مبارك محمد الحرشنى: النظم الادارية والمالية فى تهامة عسير خلال الاشراف السعودى، جدة، دار العلم، ١٤٠٥هـ.

♦ محمد بن احمد العيلى:

(أ) تاريخ المخلاف السليمانى، جزآن، الرياض، دار اليمامة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(ب) مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير (تحقيق)، نادى أبها الأدبى، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م.

♦ محمد فؤاد شكري وأخران: نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، الانجلو المصرية.

♦ مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤-١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٧٨م، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٥٥٦.

♦ نخبة من الأساتذة: معجم أعلام الفكر الانسانى، المجلد الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

♦ Hogarth: Arabia, Oxford 1922.

♦ Jacob, H.F. Kings of Arabia, London, 1923.

♦ Toynbee, Arnold J: Islamic world, Survey of International Affairs vol 1, London, 1927.

رابعا: الدوريات:

♦ الأهرام، اغسطس ١٩٠٩.

♦ العرب، يوليو - اغسطس ١٩٨٦.

♦ المساء، ديسمبر ١٩٣٠.

♦ المقطف، سبتمبر ١٩٢١، مايو ١٩٣٣.

♦ المقطم، ديسمبر ١٩٣٠.

♦ المنار، المجلد ١٦.